تهذيب الاخلاق

١٨٤٦ ١٣

ذکر سبب تالیف این کتاب در تهذیب اخلاق ساخته است وسیاقت آن برایراد بلیغترین
اشارتی در فصیح ترین عبارتی پرداخته چنانکه این سه چهار بیت که پیش ازین در قطعه
گفته آمده است بوصف آن کتاب ناطق است شعر

بنفسی کتاب حاز کل فضیلة ۞ وصار لتکمیل البریة ضامنا ۞ موکفه قد ابرز الحق خالصاً
بتالیفه من بعد ما کان کامنا ۞ ووسمه باسم الطهارة قاضیاً ۞ به حق معناه ولم یک بائنا
لعمرک بذل المجهود لله درّه ۞ فکان فی نفع الخلایق خائنا ۞ باحرز آن اوراق فرمود که
این کتاب نفیس را بتبدیل کسوت الفاظ ونقل آن از زبان تازی بازبان فارسی تجدید
ذکری باید کرد که اکر اهل روزکار که بیشتر از حلیهٔ ادب خالی اند از مطالعهٔ جواهر معانی
چنان تالیفی بزینت فضیلت حالی شوند احیاء خیری بود هرچه تمامتر محمد این اوراق
خواست که آن اشارت را تقبلی کند عزیمت معاودت فکر صورتی بکر برخیال عرض کرد
گفت معانی بدان شریفی در الفاظی بآن لطیفی که کویی قبایلیست بر بالای آن دوخته
سلخ کردن و در لباس عبارتی واهی نسخ کردن عین مسخ کردن باشد و هر صاحب طبع که
بران وقوف یابد از عیب جویی وعبث کویی مصون نماند ودیکر که هرچند آن کتاب
مشتمل بر شریفترین بابی است از ابواب حکمت عملی اما از دو قسم دیکر خالیست یعنی حکمت مدنی
وحکمت منزلی وتجدید مراسم این دو رکن نیز که باستداد روزکار اندراس یافته این فن مهم است
وبر مقتضای قضیهٔ گذشته واجب ولازم پس اولی آنکه ذمت بهمهٔ ترجمهٔ این کتاب
مرهون نباشد وتقلد طاعت را بقدر استطاعت مختصری در شرح تمامی اقسام حکمت عملی

برسبیل

ابتدا نه بر شیوهٔ اقتدا چنانکه مضمون قسمی که بر حکمت خلقی مشتمل خواهد بود خلاصهٔ
معانی کتاب استاد ابو علی مسکویه را شامل بود مرتب کرده آید وزر دو قسم دیکر
از اقوال وآراء دیکر حکما مناسب فن اولی نمطی تقرر داده شود چون این خاطر
در ضمیر مجال یافت بر وعرضه داشت پسندیده آمد پس باین موجب هرچند خویشتن را
منزلت ومایهٔ این جرأت نمیدید وباین عزیمت نیز از طعن طاعن ووقیعت بدکویی
خلاصی زیادت صورت نمی بست اما چون در امضای آن عزم مبالغتی تمام میفرمود
ودرین معنی شروع پیوست وبتوفیق الله تعالی باتمام وچون سبب تالیف اوراق
واشارت او رحمه الله بود کتاب را اخلاق ناصری نام نهاد انتظار بکرم عمیم
ولطف جسیم بزرکانی که بنظر ایشان بکذرد آنست که چون بر خطایی وسهوی اطلاع یابند
شرف اصلاح ارزانی فرمایند وتمهید عذر را بانعام قبول تلقی کنند ان شاء الله وحده

نقل من الاخلاق الناصری

Süleymaniye U Kütüphanesi
Kısmı | Esat Ef.
Yeni Kayıt No |
Eski Kayıt No. | 1836

مسکویه هو فاضل فی العلوم الحکمیة متمیز فیها خبیر بصناعة الطب جید فی اصولها
وفروعها ولمسکویه من الکتب کتاب الاشربة کتاب البطیخ کتاب فی تهذیب الاخلاق
کذا فی عیون الانباء فی طبقات الاطبا
توفی الوزیر ابو العباس احمد بن خلیفة بن
یونس الوزیر ابو القاسم لزرابی اصیبعة
المخزرجی السعدی
۵

کتاب تهذیب الاخلاق

وتطهیر الاعراق للشیخ ابو علی احمد بن محمد

یعقوب بن مسکویه الخازن الرازی

الاصبهانی

ملکه المذنب المجاهد الی رحمة ربه
احمد الراضی بن مروان سلام
عفی عنه

ثم من الله به علی عبده الفقیر الحاج
ابو بکر بن رستم الشروانی
عفی عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نتوجه اليك ونسعى نحوك ونجاهد
نفوسنا فى طاعتك ونركب الصراط المستقيم الذى
نجعله لنا الى مرضاتك فاعنا بقوتك واهدنا
بعزتك واعصمنا بقدرتك وبلغنا الدرجه العليا
برحمتك والسعادة القصوى بجودك ورافتك
انك على ما تشاء قدير غرضنا فى هذا الكتاب ان
نحصل لانفسنا خلقا تصدر عنا الافعال كلها
جميلة ويكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفه فيها
ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب
تعليمى والطريق الى ذلك ان نعرف اولا نفوسنا

ما هى واى شئ هى واى شئ اوجدت فينا اعنى
كمالها وغايتها وما قواها وملكاتها التى اذا
استعملناها على ما ينبغى بلغنا بها هذه المرتبة
العلية وما الاشياء العائقة لنا عنها وما
الذى يزكيها فيفلح وما الذى يدسيها فيخيب
فان الله عز وجل يقول ونفس وما سواها فالهمها
فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها
المقالة الاولى ولما كان لكل صناعة
مبادى عليها تبنى وبها تحصل وكانت تلك المبادى
ماخوذة من صناعة اخرى وليس فى شئ من هذه
الصناعات ان تبين مبادى انفسها كان لنا
عذر واضح فى ذكر مبادى هذه الصناعة على طريق
الاجمال والاشارة بالقول الوجيز وان لم يكن

مما قصدنا له واتباعها بعد ذلك مما توجيناه
من اصابته الحق الشريف الذى تشرف بدرشفا
ذاتيا حقيقيا لا على طريق العرض الذى لا ثبات
له ولا حقيقة اعنى المكتسب بالمال والكاثرة
او السلطان والمغالبة او الاصطلاح و
المواضعة فنقول وبالله التوفيق قولا
بينا ان فينا شيا ليس بجسم ولا بجزء من جسم
ولا عرض ولا محتاج فى وجوده الى قوة جسمية
بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشئ من الحواس
ثم بينا ما مقصودنا منه الذى خلقنا له وبدنا
اليه فنقول لما وجدنا فى الانسان شيا ما يضاد
الاجسام واجزاء الاجسام بجده وخواصه وله افعال
تضاد افعال الجسم وخواصه حتى لا يشاركه فى حال

من الاحوال وكذلك نجده يباين الاعراض ويضادها
كلها غاية المباينة ثم وجدنا هذه المضادة والمباينة
منه للاجسام والاعراض انما هى من حيث كانت الاجسام
اجساما والاعراض اعراضا حكمنا بان هذا الشئ ليس
جسما ولا جزأ من جسم ولا عرضا وذلك انه لا يستحيل
ولا يتغير ايضا فانه يدرك جميع الاشياء بالسوية
ولا يلحقه فتور ولا كلال ولا نقص وبيان ذلك
ان كل جسم له صورة فانه ليس يقبل صورة اخرى من جنس
صورته الاولى الا بعد مفارقة للصورة الاولى مفارقة
تامة مثال ذلك ان الجسم اذا قبل صورة او شكلا
من الاشكال كالمثلث مثلا فليس يقبل شكلا اخر من
التربيع والتدوير وغيرهما الا بعد مفارقة الاول اذا قبل
صورة نقش او كتابة او اى شئ كان من الصور فليس يقبل

وكذلك

صورة اخرى من ذلك الجنس الابعد زوال الاخرى
وبطلانها البتة فان بقي فيه شئ من رسم الصورة
الاولى لم يقبل الصورة الثانية على التمام بل يختلط
فيه الصورتان فلا تحصل له احداهما على التمام و
مثال ذلك انه اذا قبل الشمع صورة نقش في
الخاتم لم يقبل غيره من النقوش الا بعد ان يزول عنه
رسم النقش الاول وكذلك الفضة اذا قبلت صورة
الخاتم وهذا حكم مستمر في الاجسام كلها ونحن نجد بنفسنا
تقبل صورة الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات
والمعقولات على التمام والكمال من غير مفارقة للاولى
ولا معاقبة ولا زوال رسم بل يبقى الرسم الاول تاما كاملا
ويقبل الرسم الثاني ايضا كاملا تاما لا نزال نقبل صورة
بعد صورة ابدا دائما من غير ان نضعف او ينقص في

وقت من الاوقات عن قبول ما يطرأ عليها من الصور بل
يزداد بالصورة الاولى قوة على ما يرد عليها من الصورة
الاخرى وهذه الخاصية مضادة لخواص الاجسام و
لهذه العلة يزداد الانسان فهما كلما ارتاض وتخرج
في العلوم والآداب فليست النفس اذا جسما فاما
انها ليس بعرض فسنبين من قبل ان العرض لا يحل عرضا
لان العرض في نفسه محمول ابدا اي موجود في غيره لا
قوام له بذاته وهذا الجوهر الذي وصفنا حاله هو ابدا
قابل وحامل بالتمام والكمال من حمل الجسم للاعراض فاذا
النفس ليست جسما ولا جزءا من جسم ولا عرضا وايضا فان
الطول والعرض والعمق الذي به صار الجسم جسما تحصل
في النفس وفي قوتها الوهمية من غير ان تحس به طويلا
عريضا عميقا ثم تزداد فيه هذه المعاني ابدا بلا نهاية

فلا تصير به اطول ولا اعرض ولا اعمق بل لا تصير به جسما البتة
ولا اذا تصورت ايضا بكيفيات الجسم تكيف بها اعني
اذا تصورت الالوان والطعوم والروائح ولم تتصور بها
كما تتصور بها الاجسام ولا تمنع بعضها قبول اضدادها
كما تمنع في الجسم بل تقبلها كلها في حال واحدة بالسواء
وكذلك حالها في المعقولات فانها تزداد بكل معقول
تحصله قوة على قبول غيره دائما ابدا بلا نهاية وهذه
حاله مقابلة لاحوال الاجسام وخاصة في غاية البعد
من خواصها وانصافا فان الجسم وقواه لا تعرف العلوم
الا من الحواس ولا تميل الا اليها فهو تتشوقها بالملابسة
والمشابكة كالشهوات البدنيه ومحبة الانتقام
والغلبة وبالجمله كلما تحس ويوصل اليه بالحس
وهو تزداد بهذه الاشياء قوة ويستفيد منها

تماما وكمالا لانها مادة واسباب وجوده فهي تفرح بها
وتشتاق اليها من اجل انها تتمم وجوده وتزيد فيه
وتمده فاما هذا المعنى الاخر الذي سميناه نفسانيا
كلما تباعد من هذه المعاني البدنيه التي احصيناها
وتداخل الاذانة وتخلى عن الحواس باكثر ما يمكن ازداد
قوة وتماما وكمالا وتظهر له الاداء الصحيحة والمعقولات البسيطة
وهذا ادل دليل على ان طباعه وجوهره من غير طباع الجسم
والبدن وانه اكرم جوهرا وافضل طباعا من كل ما
هذا العالم من الامور الجسمانيه وايضا فانه تتشوقه
ما ليس من طباع البدن وحرصه على معرفة حقائق الامور
الالهية وميله الى الامور التي هي افضل من الامور الجسمية
واثاره له وانصرافه عن اللذات الجسمانيه ليحصل اللذات
العقليه يدلنا كلاله واضحة انه من جوهر اعلى واكرم

جدا من الامور الجسمانيه لانه لا يمكن في شئ من الاشياء ان
تشوق الى ما ليس من طبيعته ولا ان تتصرف عما يكمل
ذاته وتقوم جوهره فاذا كانت افعال النفس اذا
انصرفت الى ذاتها وتركت الحواس مخالفة لافعال البدن
ومضادة لها في محاولاتها وارادتها فلا محالة ان جوهرها
مفارق لجوهر البدن ومخالف له في طبعه وافعاله
النفس وان كانت ياخذ كثيرا من مبادي العلوم عن
الحواس فلها من نفسها مبادي اخر وافعال لا ياخذها
عن الحواس البته وهي المبادي الشريفه العالية التي
بنى عليها القياسات الصحيحه وذلك
انها اذا حكمت انه ليس بين طرفي النقيض واسطة
فانها لم ياخذ هذا الحكم من شئ اخر لانه اول وواجب
من شئ اخر لم يكن اول وايضا فان الحواس تدرك

المحسوسات فقط واما النفس فانها تدرك اسباب
الاتفاقات واسباب الاختلافات التي بين
المحسوسات وهي معقولاتها التي لا يستعين عليها
بشئ من الجسم ولا آثار الجسم وكذلك اذا حكمت على
الحس بانه صدق او كذب فليس ياخذ هذا الحكم
من الحس لان الحس لا يضاد نفسه فيما يحكم به ونحن
نجد النفس العاقله فينا تستدرك اشياء كثيرا
من خطا الحواس في مبادي افعالها وترد عليها
من ذلك ان البصر يخطي فيما يراه من قرب ومن بعد
اما خطاه في البعد فبادراكه الشمس صغيره
مقدارها عرض قدم وهي مثل الارض كلها
مائة وثمانيا وستين مرة وتشهد بذلك البرهان
العقلي وتعقل منه وترد على الحس ما شهد به

فلا تقبله واما خطاؤه فى الغرب فمثل له ضوء
الشمس اذا وقع عليها من ثقب صغار مربعات
كحلل البوارى واشباهها التى تستطيل بها
فانه يدرك الضوء الواصل الينا منها مستديرا
فترد عليه هذا الحكم وتغلطه فى ادراكه ويعلم انه
ليس كما يراه ويخطئ البصر ايضا فى حركة القمر والسحاب
والسفينة والشاطئ ويخطئ فى الاسطوانيين المستطيلة
والنخيل واشباهها حتى تراها مختلفة فى اوضاعها
ويخطئ ايضا فى الاشياء التى تحرك على الاستدارة
حتى تراها كالحلقة وكالطوق ويخطئ فى الاشياء
الغائصة فى الماء حتى يرى بعضها اكبر من
مقداره ويرى بعضها منكسرا او هو
صحيح وبعضها معوجا وهو مستقيم

وبعضها منكوسا وهو منتصب فيستخرج العقل اسباب
هذه كلها من مبادئ عقلية ويحكم عليها احكاما صحيحة
وكذا الحال فى حاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة
الشم وحاسة اللمس اعنى ان حاسة الذوق تغلط
فى الحلو فيجده مرا وحاسة السمع تغلط فى
المواضع الصقيلة المستديرة واشباهها عند الضياء
وما اشبهه وحاسة الشم تغلط كثيرا فى الاشياء
المنتنة لاسيما فى المستقل من رائحة الى رائحة
فالعقل يرد هذه القضايا ويقف فيها ويستخرج
اسبابها ويحكم فيها احكاما صحيحة والحاكم
فى الشئ المزيف له والمصحح افضل واعلى رتبة من
المحكوم عليه وبالجملة فان النفس اذا علمت ان
الحس قد كذب او صدق فليس باخذ هذا العلم من الحس

ثم اذا علمت انها قد ادركت معقولاتها فليست
تعلم هذا العلم من علم اخر فانها لو علمت هذا العلم
من علم اخر لاحتاجت فى ذلك العلم الى علم آخر
وهلم جرا لا نهاية فاذا علمها بانها علمت ليس بماخوذ
من علم اخر البتة بل هو من ذاتها وجوهرها اعنى
العقل وليست تحتاج فى ادراك ذاتها الى شئ اخر غير
ذاتها وهذا ما قيل فى اواخر هذا العلم ان العقل و
العاقل والمعقول شئ واحد لا غيرية فيه وهذا شئ
بين فى موضعه فاما الحواس فلا تحس ذواتها ولا
ما هو موافق لها كل الموافقة كما سنبين ايضا فاذ
قد تبين من هذه الاشياء بيانا واضحا ان النفس ليست
بجسم ولا اخذ من جسم ولا حال فى الجسم وانها شئ اخر مفارق
بجوهره واحكامه وخواصه وافعاله فنقول اما شوقها

الى افعالها الخاصة بها اعنى العلوم والمعارف
مع هربها من افعال الجسم الخاصة به فهو فضيلة لها
وبحسب طلب الانسان لهذه الفضيلة وحرصه عليها
يكون فضله وهذا الفضل تتم بحسب غناية الانسان
بنفسه وانصرافه عن الامور العايقة له عن هذا
المعنى بحهده وطاقته وقد وضح مما تقدم ان الاشياء
العايقة لنا عن الفضايل اعنى الاسباب البدنية
والحواس وما يتصل بها فاما الفضايل انفسها فليست
يحصل لها الا بعد ان تطهر نفوسنا من الرذايل
التى هى اضدادها اعنى شهواتها الرديئة الجسمانية
ونزواتها الفاحشة البهيمية فان الانسان اذا
علم ان هذه الاشياء ليست فضايل بل هى رذايل
يجتنبها ويكره ان يوصف بها واذا اطن انها فضايل

لزمها وصارت له عادة وبحسب المناسبة قد نسبها
يكون بعد من قبول الفضايل وقد يظهر للانسان
ان هذه الاشيا التي تشتاقها البدن بالحواس
ويميل اليها الجمهور اعني المآكل والمشارب والمناكح
هي رذايل وليست فضايل انه اذا اعتقدها في الحيوانات
وجد كثيرا منها اقدر على الاستكثار منها واحرص
عليها كالخنزير والكلب واصناف كثيرة من حيوان الماء
وسباع الوحش والطير فانها اقوى من الانسان
على هذه الاشيا واكثر احتمالا لها وليست تكون
بها افضل من الانسان وايضا فان من الانسان اذا اكتفى
من طعامه وشرابه وسايل لذاته البدنية اذا عرض عليها
الاستزادة منها كما يستزاد من الفضايل اي ذلك
وعافر وتبين له قبح صورة من تعاطاها لا سيما مع استغنا

عنها والا كتفا منها بل تجاوز ذلك الى مقته وذمه
بل الى لقومه وتاديبه فيعي الآن ان يقدم امام
ما طلبه من سعادة النفس وفضايلها كلا ما يسهل به
فهم ما يوجد فصول كل موجود من حيوان ونبات
وجماد وكذلك بسايطها اعني النار والهوا والماء
والارض وكذلك الاجرام العلوية لها قوى وملكات
وافعال بها تصير ذلك الموجود هو ما هو وبها تتميز
عن كل ما سواه وله ايضا قوى وملكات وافعال
بها يسارك ما سواه ولما كان الانسان من بين الموجودات
كلها هو الذي يلتمس له الخلق المحمود والافعال المرضية
وجب ان ننظر في هذا الوقت في قواه وملكاته
وافعاله التي بها يسارك سايل الموجودات ان كان ذلك
من حيث صناعة اخرى وعلم آخر يسمى العلم الطبيعي

واما افعاله وقواه وملكاته التي تخصّ بها من حيث
هو انسان وبها يتمّ انسانيّته وفضايله ففي الامور
الارادية التي يتعلق بها قوة الفكر والتميز والنظر فيها
يسمى الفلسفة العمليّة وهذه الاشياء الارادية التي تنسب
الى الانسان تنقسم الى الخيرات والشرور وذلك
ان الغرض المقصود بوجود الانسان اذا توجّه الوجه
منا اليه حتى يحصل هو الذي يجب ان يسمّى به
خيرا وسعيدا فاما ما عاق عنه عوايق اخر
فهو الشرير الشقي فاذا الخيرات هي الامور التي
يحصل الانسان بارادته وسعيه في الامور التي لها
اوجد الانسان ومن اجله خلق والشرور هي الامور
التي تعوق عن هذه الخيرات وارادته وسعيه او
كسله وانصرافه والخيرات قد قسمها الاولون

الى اقسام كثيرة وذلك ان منها ما هي شريفة ومنها ما هي
ممدوحة ومنها ما هي نافعة ومنها ما هي القوة لذلك
ونعني بالقوة التهيؤ والاستعداد ويحنّ ردّها ما بعد
وقد قدّمنا القول ان كل واحد من الموجودات
له كمال خاصّ به وفعل لا يشاركه فيه غيره من حيث
هو ذلك الشيء اعني انه لا يجوز وجودا آخر سواه
يصلح لذلك الفعل منه وهذا حكم مشترك في الامور
العلوية والسفلية كالشمس وساير الكواكب
وكانواع الحيوان كلها كالفرس والبازي وكالنبات
والمعادن وكالعناصر البسايط التي هي تصفّحت
احوالها تبين لك ان جميعها صحّ ما قلناه وحكمنا به
فاذن الانسان من بين ساير الموجودات له فعل خاصّ
لا يشاركه فيه غيره وهو ما يصدر عن قوته المميّزة

المرويه فكل من كان تميزه اصح ونزعته اصدق
واخلاقه افضل كان اكمل في انسانيته وكان
السيف والمشار وان صدء عن كل واحد منهما
فعله الخاص بصورته التي من اجله عمل فافضل
السيوف ما كان امضى واحد وما كفاء يسر من
الايماء في بلوغ كماله الذي اعد له وكذلك الحال
في الفرس والبازي وساير الحيوانات فان افضل الافراس
من كان اسرع جريه واشد تيقظا لما يرد الغارس من
في طاعة اللجام وحسن القبول في الحركات وخفه
العدو والنشاط فكذلك الانسان افضلهم من كان
اقتدر على افعاله الخاصة به واشدهم تمسكا بشرائط
جوهره الذي تمم به من الموجودات فاذن الواجب الذي
لا بد منه ينبغي ان يحرص على الخيرات التي هي كمالنا

والتي من اجلها خلقنا ويجتهد في الوصول الى الاشياء
التي هي اقرب الشرور التي يعوقنا عنها وينقص حظنا
منها فان الفرس اذا قصر عن كماله ولم يظهر افعاله
الخاصة به على افضل احواله حط عن مرتبة الفرسية
واستعمل استعمال الاكاف كما يستعمل الحمير وكذلك حال
السيف وساير الآلات متى قصرت ونقصت
افعالها الخاصة بها حطت عن مراتبها واستعملت استعمال
ما دونها والانسان اذا نقصت افعاله او قصرت
عما خولته اعني ان يكون بدوته وافعاله التي تصدر عنه
وعن بدوته غير كاملة احرى ان تحط عن مرتبه
الانسانية الى مرتبة البهيمية هذا اذا صدرت
افعاله الانسانية عنه ناقصة غير تامة فاما اذا
صدرت عنه الافعال بعدما اعد له اعني الشرور

الى ان يكون الرويه الناقصه والعدول بها عن
جهته لاجل الشهوة التي تشارك بها البهيمه
او الاشتغال بالامور الحسيه التي تشغله عما عرض له
من تزكيه نفسه التي ينتهي بها الى الملك الرفيع
والسرور الحقيقي وتوصله الى قره العين التي قال الله
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قره اعين وتبلغه
الى رب العالمين في النعيم المقيم واللذات التي لم
ترها عين ولا سمعتها اذن ولا خطرت على قلب بشر
وانخدع عن هذه الموهبه السرمديه الشريفه سلك
الخساسات التي لا ثبات لها فهو حقيق بالمقت
من خالقه عز وجل خلق تعجل العقوبه له
وازاحة العباد والبلاد منه واذ قد تبين ان سعاده
كل موجود انما هي في صدر افعاله التي يخصّ صدورها عنه

افضل
تامه كامله وان سعاده الانسان تكون في صدر افعاله
الانسانيه عن حسب تميزه وروّيته وان لهذه
السعاده مراتب كثيره بحسب الرويه والمنوي فيه
ولذلك قيل افضل الرويه ما كان في افضل
منوي فيه ثم نزل رتبه فرتبه الى ان ينتهي الى النظر
في الامور الممكنه من العالم الحسي فيكون الناظر
في هذه الاشياء قد استعمل رويته والصور الخاصه
التي صار من اجلها سعيدا معرضا للملك الابدي
والنعيم السرمدي في اشياء دنيه لا وجود لها
بالحقيقه فقد تبين ايضا اجناس السعادات بالجمله
واضدادها من الشقاوات واجناسها وان الخيرات
والشرور في غير افعال الارادة هي اما باختيار
الافضل والعمل به واما باختيار الادون والميل اليه

ولما كانت كمالات الخيرات الانسانية كثيرة ولم يكن
في طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها اجتمع جماعة كثيرة
منهم ولذلك وجب ان يكون اشخاص الناس كثيرة
وان يجتمعوا في زمان واحد على تحصيل هذه السعادات
المشتركة ليكمل كل واحد منهم بمعاونة الباقين له
فتكون الخيرات مشتركة والسعادة فوضى بينهم فيتوزعونها
حتى يقوم كل واحد بحزء منها ويتم للجميع بمعاونة الجميع
الكمال الانسي ويحصل لهم السعادات اللذات التي
شرحناها في كتاب التهذيب ولاجل ذلك وجب
ان يكون الناس بحيث ينفعهم بعضا لان كل واحد
يرى كماله عند الآخر ولولا ذلك لما امكن لهذا
سعادة فتكون اذن كل واحد منزلة عضو من
اعضاء البدن وقوام الانسان بتمام اعضاء بدنه

اثر

اجتماع الناس في المدن كثيرة

اجتماع القوم لتحصيلها

وقد تبين للناظر في امر هذه النفس وقواها انها تنقسم
الى ثلثة اقسام اعني القوة التي بها تكون العلم والتميز
والنظر في حقايق الامور والتي بها تكون الغضب والنجدة
والاقدام على الاهوال والشوق الى البسائط
والترفع وضروب الكرامات والقوة التي بها
تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق الى الملاذ
الحسية في المآكل والمشارب والمناكح وضروب اللذات
وهذه الثلث متباينة ويعلم من ذلك ان بعضها
اذا قوي منها اضر بالآخر وربما ابطل احدها فعل الآخر
وهذه ربما جعلت نفوسا وربما جعلت قوى لنفس واحدة
والنظر في ذلك ليس من هذا الموضع وانما يكتفى
في تعليم هذا الحال بما ذكرنا متباينة تقوى احدها
وتضعف بحسب المزاج او العادة او التأديب والقوة الناطقة

الادراك والقوى الشهويه
هي التي تسمى الشهيه
آلتها التي يستعملها في البدن

هي التي تسمى الملكيه وآلتها التي تستعمل في البدن
الكبد والقوه الغضبيه هي التي تسمى السبعيه
وآلتها التي يستعملها في البدن القلب فلذلك وجب
ان يكون عدد الفضايل بحسب اعداد هذه القوى وكذلك
اضدادها التي هي رذايل فمتى كانت حركه النفس الناطقه
معتدله وغير خارجه عن ذاتها وكان شوقها الى المعارف
الصحيحه لا المظنونه معارف وهي بالحقيقه جهالات
حدثت عنها فضيله العلم وتبعها الحكمه ومتى كانت حركه
النفس البهيميه معتدله منقاده للنفس العاقله غير مباينه
عليها فيما يقسط لها ولا منهمكه في اتباع هواها حدثت عنها
فضيله العفه وتبعها فضيله السخاء ومتى كانت حركه
النفس الغضبيه معتدله بطبع النفس العاقله فيما يقسط لها
فلا يهيج في غير حينها ولا يحمى اكثر مما ينبغي لها حدثت عنها

فضيله الحلم وتبعها فضيله الشجاعه ثم تحدث عن هذه
الفضايل الثلث باعتدالها وتنسب بعضها الى بعض
فضيله هي كمالها وتمامها وهي فضيله العداله فلذلك
اجمع الحكماء ان اجناس الفضايل اربع وهي الحكمه والعفه
والشجاعه والعداله وللملك ان يفتح احد ابوابها شاء
الابواب الفضايل فقط فاما من افتخر بابايه واسلافه
فلانهم كانوا على بعض هذه الفضايل او عليها كلها وكل
واحد من هذه الفضايل اذا تعدت صاحبها الى غيره
سمي صاحبها به او مدح عليها واذا اقتصر على نفسه
لم يسم بها بل غيرت هذه اما الجود فانه اذا لم يتعد
صاحبه سمي صاحبه منفاقا واما الشجاعه فان صاحبها
يسمى انفا واما العلم فان صاحبه يسمى مستبصرا ثم
ان صاحب الجود والشجاعه اذا عم غيره بفضيلته تعدى

رجى احدهما واحتشم وهيب بالآخره ذلك في الدنيا
فقط لانهما فضيلتان حيوانيتان اما العلم اذا تعدى
صلحيه فانه يرجى ويحتشم في الدنيا والآخره لانه
فضيله انسانيه ملكيه واضداد هذه الفضايل
الاربع من الرذايل ايضا اربع هي الجهل والشره
والجبن والجور وتحت كل واحد من هذه الاجناس
انواع كثيره سنذكر منها ما يمكن ذكره فاما اشخاص هذه انواع
فهي لا نهايه وهي امراض نفسانيه تحدث عنها آلام كثيره
كالخوف والحزن والغضب وانواع العشق الشهواني
وضروب من سوء الخلق وسنذكرها ونذكر علاجاتها
فيما بعد ان شا الله تعالى والذي يجب علينا الآن تحديد
هذه الاشيا اعني الاجناس الاربعه التي تحتوي على
جمل الفضايل فنقول الحكمه هي فضيله النفس الناطقه

الممّيزه وهي ان يعلم الموجودات كلها من حيث هي
موجوده وان شئت فقل ان تعلم الامور الالهيه والامور
الانسانيه وتعلم علما بذلك ان تعرف المفعولات
انها يجب ان تفعل وانها يجب ان لا تفعل واما العفه
فهي فضيله الجزو الشهواني وظهور هذه الفضيله
في الانسان يكون ان يصرف شهواته بحسب الراي
يعني ان يوافق الميز الصحيح حتى لا ينقاد لها وصيرورة ذلك
جزو اغلب متعد لشي من شهواته اما الشجاعه فهي
فضيله النفس الغضبيه وتظهر في الانسان بحسن
انقيادها للنفس الناطقه الممّيزه واستعمال ما يوجبه
الراي في الامور الهايله يعني الاقدام من الامور المفزعه
اذا كان فعلها جميلا والصبر عليها محمودا فاما العداله
فهي فضيله للنفس بحيث لها من اجتماع هذه الفضايل

الثالث الى عددناها وذلك عند مساواة هذه القوى
بعضها البعض واستيلاء القوة المميزة حتى لا تغالب
ولا تحرك نحو مطلوباتها على سوم طباعها ويحدث
للانسان بامنه يحاربها ابدا الانصاف من نفسه على نفسه
اولا ثم الانصاف والانصاف من غيره وسنتكلم
على كل واحدة من هذه الفضائل بكلام اوسع من هذا
اذا ذكرنا الفضائل التي تحت كل جنس من هذه الاربع
اذ كان غرضنا في هذا الموضع الاشارة اليها بالرسوم
الوجيزة ليتصورها المتعلم والذي ينبغي ان يتتبع ما ذكرناه
ذكر انواع هذه الاجناس ومباحث كل واحد منها فنقول
اما الاقسام التي يحتاج الحكمة في هذه الذكاء الذكر
التعقل سرعة الفهم وقوة صفاء الذهن سهولة التعلم
وبهذه الاسباء يكون حسن الاستعداد للحكمة فاما الوقوف

على جواهر هذه الاقسام يكون من حدودها وذلك
ان العلم بالحدود يفهم جواهر الاشيآء المطلوبة الموجودة
دائما على حال واحدة وهو العلم البرهاني الذي لا يتغير
ولا يدخله الشك بوجه من الوجوه والفضائل التي هي
بذاتها فضائل ليست في حال من الاحوال غير فضائل
وكذلك العلوم بها اما الذكاء فهو سرعة انفداح النتائج
وشهولها على النفس واما الذكر فهو ثبات صور ما
يحصله العقل او الوهم من الصور واما التعقل
فهو موافقة محض النفس عن الاشيآء الموضوعة بقدر
ما هي عليه واما صفاء الذهن فهو استعداد النفس
لاستخراج المطلوب واما جودة الذهن وقوته
فهو تامل النفس لما قد لزم من المقدم واما سهولة التعلم
فهو قوة للنفس وحدة في الفهم بما يدرك من امور النظرية

الفضائل الى بحث العفه الحياء الدعه
الصبر السخاء الحريه القناعه الدماثه الاستظام
جنس الصمت الهدى المسالمه الوقار الورع فالحياء
هو انحصار النفس خوف اتيان القبايح والحذر من الذم
والسبب الصادق واما الدعه فهو سكون النفس عند
حركه الشهوات واما الصبر فهو مقاومه النفس الهوى
لئلا ينقاد لقبايح اللذات واما السخاء فهو التوسط
فى اعطاء والاخذ وهو ان ينفق الاموال فيما ينبغى
بمقدار ما ينبغى وعلى ما ينبغى وتحت السخاء خلقه انواع كثيره
نحصيها فيما بعد لكثره الحاجه اليها واما الحريه فهى فضيله
للنفس بها يكتسب المال من وجهه ويعطى فى وجهه
ويمنع من اكتساب المال من غير وجهه واما القناعه
فهى التساهل فى المآكل والمشارب والملبس واما الدماثه

فهى حسن انقياد النفس لما تحمل وتسرعها الى الجميل
واما الاستظام فهو حال النفس تقودها الى حسن
تدبير الامور وترتيبها كما ينبغى واما الهدى فهو محبه
تحمل النفس بالزيه الحسنه واما المسالمه فهى عدم
تحصل للنفس عن ملكه لاضطراب فيها واما الوقار
فهو سكون النفس وثباتها عند الحركات التى يكون
فى المطالب واما الورع فهو لزوم الاعمال الجميله
التى فيها كمال النفس الفضائل الى بحث السخاء
كبر النفس النجده عظم الهمه الثبات والصبر الحلم
عدم الطيش والفرق بين هذا الصبر والصبر الذى
فى العفه ان هذا يكون فى الامور الهايله وذلك يكون
فى الشهوات الهاجه الشهامه احمال الكد اما كبر النفس
فهو استهانه بالبيسار والاقتدار على جل الكراهه والهوان

ومن لم يجد ابدا يوطن نفسه للامور العظام
مع استخفافها واما الجبن فهي ثقة النفس عند المخاوف
حتى لا يخامرها جزع واما عظم الهمة فهي فضيلة للنفس
تحمل بها سلامة الجد وصدها حتى الشدايد التي
يكون عندها الموت واما الثبات والصبر فهو فضيله
للنفس تقوى بها على احمال الآلام ومقاومتها
وفي الاهوال خاصة واما الحلم فهو فضيلة للنفس
يكسبها الطمانينة فلا يكون شغبة ولا يحركها الغضب
بسهولة وسرعة واما السكون الذي يعني به عدم الطيش
فهو اما عند الخصومات واما في الحروب التي تدب
لها عن الحرم او عن الشريعة وهي قوة النفس تعسر
حركتها في هذه الاحوال لشدتها واما الشهامة فهي
الحرص على الاعمال العظام توقعا للاحدوثة الجميلة

واما احتمال الكد فهو قوة للنفس يستعمل الآلام
في الامور الحسنة بالتمرن وحسن العادة
الفضائل الى الجد السخاء الكرم الايثار
النبل المواساة السماحة المسامحة اما الكرم
فهو انفاق المال الكثير بسهولة النفس في الامور الجليلة
القدر الكثير النفع كما ينبغي وباقي شرايط السخاء
الى ذكرناها واما الايثار فهو فضيلة للنفس بها
تكف الانسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذلها
لمن يستحقها واما النبل فهو سرور النفس بالافعال
العظام وابتهاجها بلزوم هذه السير واما المواساة
فهي معاونة الاصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في بعض اموال
والاموات واما السماحة فهي بذل بعض ما لا يجب
واما المسامحة فهي ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالارادة

الفضائل الى تحت العداله الصداقه الالفه
صله الرحم المكافاه حسن الشركه حسن القضاء
التودد العباده ترك الحقد مكافاه الشر بالخير
استعمال اللطف ركوب المروه فى جميع الاحوال
ترك المعاداه ترك الحكايه غمز ليس بعدل مرضى
البحث عن سيره من يحكى عنه العدل ترك لفظه واحده
لاضر فيها على مسلم فضلا عن حكايه توجب حدا
او قذفا او قتلا او قطعا ترك السكون الى قول
سفله الناس وسقاطهم ترك قول من يكذب من الناس
ظاهرا وباطنا او يحلف فى مسئله او يلح بالسوال
فان هولاء يرضيهم الشئ اليسير فيقولون لاجله
حسنا ويسخطهم اذا منعوا اليسير فيقولون لاجله
قبيحا ترك الشره فى الكسب والحرص ترك ركوب البناة

فى الكسب اجمل العيال الرجوع الى الله والى عمل
ومشاوره عند كل قول يتلفظ به او لحظ يلحظه
او خطو فى اعدايه او اصدقايه ترك اليمين بالله
وبشئ من اسمايه وصفاته راسا وليس يعدل من
لم يكره زوجته واهلها والمتصلون بزوجته
واهل المعرفه الباطنه به وخيرالناس خيرهم
لاهله وعشيرته والمتصلين به من زاج او ولد
او متصل باخ او ولد او قريب او نسب او شريك
او جار او صديق وجب ومن احب المال حسا
مفرطا لم يهتد لهذه المنزله فان حرصه على جمع المال
يصده عن استعمال الرافه وامتطا الحق وبذل الواجب
ويضطره الى الخيانه والكذب والخلاف والتدبير
ومنع الواجب وبر استقصاء واستجلاب المنافع

فهو طلب المروات بحسن اللقاء وبالاعمال التي يستدعي
منهم وامّا العبادة فهي تعظيم الله عزّ وجلّ وتمجيده وطاعته
والكرام اوليائه من الملائكة وبرانبيآئه وبرائمّته والعمل بما اوجبه
الشريعة وتقوى الله تعالى بتمّم هذه الاشياء
وبكلها واذ قد تقصّصنا الفضائل الاول واقسامها
وذكرنا انواعها واجزاءها فقد عرفت الرذايل التي تضادّ
الفضايل لانه يفهم من كل واحد من تلك الفضايل
كلها ما يقابلها لان العلم بالاضداد واحدٌ ولما كانت
هذه الفضايل هي اوساطا بين اطراف وتلك الاطراف
هي الرذايل وجب ان نفهم منها وان لم نسمّ كنا الزمان
ذكرناها لان وجود اسمايها في هذا الوقت متعذّر وينبغي
ان نفهم من قولنا ان كل فضيلة فهي وسط بين رذايل
ما انا واصفه ان الارض لما كانت على غاية البعد من السماء

فانه بسبع الدين والمروّة وربما انفق احوالا جمّة
محمّدة منه للمحمّة وحسن الثناء ولا يريد بذلك
وجه الله عزّ وجلّ بل يجعلها مصيدة ويجعل ذلك
مكسبة ولا يعلم ان ذلك عليه سبّة ومسبّة واما
الصداقة فهي محبّة صادقة يهتمّ فيها بجمع اسباب
الصديق وايثار فعل الخيرات التي يمكن فعلها به
واما الالفة فهي انتظام الآراء والاعتقادات ويحدث
عن التواصل فيعقد معها التظافر على تدبير العيش
واما صلة الرحم فهي مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات
الى كمون في الدنيا واما المكافاة فهي مقابلة الاحسان
بمثله او زيادة عليه والمحسن الشركة فهي الاخذ
وبر العطاء في المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع
واما حسن القضاء فهي مجازاة بعض هذه الامور واما الودّ

فضيلة اوسط والجمله الممكن من الذات هو على غايه البعد
من الافراط واذا كان الشئ على غايه البعد من الاخر
هو من تلك الجهة على القطر فعلى هذا الوجه ينبغي ان
يفهم معنى الوسط من الفضيله اذا كانت من رذائل
بعضها منها اقصى البعد ولهذا اذا انحرف الفضيله
عن وضعها الخاص بها ادنى انحراف قربت من رذيله
اخرى ولم تسلم من العيب بحسب قربها من تلك الرذيله
الى تميل اليها ولهذا صعب جدا وجود هذا الوسط
ثم التمسك به بعد وجوده اصعب ولذلك قال العلماء
اصابه نقط الهدف اعسر من العدول عنها ولزوم الصواب
بعد ذلك حتى لا يخطيها العسر واصعب وذلك ان
الافراط التي تسمى رذائل من الافعال والاحوال
والملكات وساير الجهات كثيرة جدا وكذلك دواعي

الشر اكثر من دواعي الخير ويجب ان يعطا الافراط
ملك الاطراف بحسب انسان انسان فاما ما يجب علينا
نحن فهو ان يلتمس هذا الاوساط وقوانينها بحسب
ما يليق بالصناعة الاعلى ما يجب على شخص شخص
فان هذا غير ممكن فان النجار والصانع وساير ارباب
الصناعات انما يحصل في نفوسهم قوانين واصول
فمعرفة النجار صورة الباب والسرير والصانع صورة
الخاتم والتاج على الاطلاق فاما اشخاص ما قام في نفس
فانما يستخرجها بملك القوانين ولا يمكنه تعرف الاشخاص
لانها بلا نهايه وذلك ان كل باب فخاتم انما يعمل بمقدار
ما ينبغي وعلى قدر الحاجة وبحسب المادة والصناعة
لا يضمن الا معرفة الاصول فقط واذ قد ذكرنا
معنى الوسط في هذه الاحوال وما ينبغي ان يفهم منه

ذلك كرهذه الاوساط لنفهم منها الاطراف
التي هي رذايل وشرور فضول وبالله التوفيق
فاما الحكمة فهي وسط بين السفه والبله واعني
بالسفه هاهنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي
وكما يقوم الحرص واعني بالبله تعطيل هذه القوة
الفكرية واطراحها وليس ينبغي ان نفهم البله هاهنا
نقصان الخلقة بل ما ذكرته من تعطيل القوة الفكرية
بالارادة واما الذكاء فهو وسط بين الجمود
والبلادة فان احد طرفي كل وسط افراط وآخر
تفريط اعني الزيادة عليه والنقصان منه والجمود
والدهاء والحيل الردية هي كلها الى جانب الزيادة
فيها ينبغي ان يكون الذكاء فيه واما البلادة والبله
والعجز عن ادراك المعارف فهي كلها الى جانب النقصان

من الذكاء واما الذكر فهو وسط بين النسيان
الذي يكون لاهمال ما ينبغي ان يحفظ وبين العناية
بما لا ينبغي ان يحفظ واما العقل فهو حسن التصور
وهو وسط بين الذهاب بالنظر الى الشيء الموضوع
الى اكثر مما هو عليه وبين التصور بالنظر فيه عما هو
عليه واما سرعة الفهم فهو وسط بين اختطاف
خيال الشيء من غير احكام لفهمه وبين الابطاء
عن فهم حقيقته واما صفاء الذهن فهو وسط بين
ظلمة النفس عن استحضار المطلوب وبين التهاب
بعض فيها فيمنعها من استحضار المطلوب واما
جودة الذهن وقوته فهو وسط بين الافراط في الميل
لما لزم من المقدم حتى يخرج منه الى غيره وبين التفريط
فيه حتى يقصر عنه واما سهولة التعلم فهو وسط بين

الجبان الى البسالة لا تشجعه صوب التعلم
ومن التعصب عليه وتعذره واما العفة
فهو وسط بين ذميمتين وهما الشره وخمود الشهوة
واعني بالشره الانهماك في اللذات والخروج فيها
عما ينبغي واعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة
التي تسلك نحو اللذ الجميل الى يباح اليها البدن
في ضرورته وهي ما يرخص فيه الشريعة والعقل
واما الفضائل التي تحت العفة فان الحياء وسط
بين رذيلتين احدهما الوقاحة والاخرى الخرق
وانت تقدر على ان تحفظ اطراف الفضائل الاخر التي
هي رذايل وربما وجدت لها اسماء بحسب اللغة
وربما لم تجد لها اسما وليس يعسر عليك فهم معانيها
والسلوك بها على السبل التي سلكناها واما الشجاعة

فهي وسط بين رذيلتين احدهما الجبن والاخرى التهور
اما الجبن فهو الخوف فيما لا ينبغي ان يخاف منه
واما التهور وهو الاقدام على ما لا ينبغي ان يقدم عليه
واما السخاء فهو وسط بين رذيلتين احدهما السرف
والتبذير والاخرى البخل والتقتير اما التبذير
فهو بذل ما لا ينبغي لمن لا يستحق واما التقتير فهو منع
ما ينبغي ممن يستحق واما العدالة فهو وسط بين الظلم
والانظلام اما الظلم فهو التوصل الى اكثر المقتنيات
من حيث لا ينبغي وكما لا ينبغي ولذلك كان الجابر اموال
كثيرة لانه يتوصل اليها من حيث لا يجب ووجوه التوصل
اليها كثيرة واما المتظلم فمقتنياته واحواله تنقص جدا
لانه يترك كثيرا من حيث يجب واما العادل فهو الوسط
بينهما لانه يقتني الاحوال من حيث يجب ويتركها من حيث لا يجب

ثم اله فضله يتصف بها الانسان من نفسه ومن غيره
من انسان يعطي نفسه من النافع اكثر وغيره اقل
وما من الضار فبالعكس فهو الا يعطي نفسه اقل
وغيره اكثر لكن يستعمل المساواة التي تناسب ما بين الاشياء
وبين هذا المعنى اسمه اعني العدل واما الجائر
فانه يطلب لنفسه الزيادة من النافع ولغيره النقصان
واما في الاشياء الضارة فانه يطلب لنفسه النقصان
ولغيره الزيادة منها فهذه كلها الاحوال التي هي خيرات
وفضائل واطرافها التي هي شرور ورذائل على طرفي الاعتدال
وحددنا ما يجب منها ورسمنا ما نرسم وسنشرح كل واحد
منها على الاستقصاء فيما بعد ان شاء الله تعالى
وينبغي ان يلخص في هذا الموضع شكا وربما حوط طالب
هذه الفضايل فقول انا بينا فيما تقدم ان الانسان

من جميع الحيوان لا يكتفي بنفسه في تكميل ذاته
ولا بد له من معاونة قوم كثيرة العدد حتى يتم حلوته
طيبة ويجري امره على السداد ولهذا قالت الحكماء
ان الانسان مدني بالطبع اي هو محتاج الى مدينة فيها
خلق كثير ليتم له السعادة الانسانية فكل انسان
بالطبع والمضرور يحتاج الى غيره فهو لذلك مضطر
الى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم
المحبة الصادقة لانهم يكونون ذاته ويتممون انسانيته
وهو ايضا يفعل بهم مثل ذلك فاذا كان كذلك
بالطبع وبالضرورة فكيف يؤثر الانسان العاقل العارف
بنفسه الفرد والخلي ويعاطي ما يرى الفضيلة في غيره
فاذن القوم الذين رذوا الفضيلة والزهد وتركوا
مخالطة الناس وبغضوا عنهم اما بملازمة المخازي

في الجدال واما بدنا الصوامع في المفاوز واما بالسياحة
في البلدان لا يحصل لهم سوى الفضائل الانسانية
الى غاية ناقصة وذلك ان من لم يخالط الناس ولم يساكنهم
في المدن لا يظهر فيه العفة ولا الجود ولا السخاء
ولا العدالة بل يصير قواه وملكاته الى ركيكة غير
باطلة لانها لا يتوجه لا الى خير ولا الى شر فاذا
بطلت ولم يظهر افعالها الخاصة بها صاروا بمنزلة
الجمادات والموتى من الناس ولذلك انهم يظنون
ويظن لهم انهم اعفاء وليسوا باعفاء وانهم عدول
وليسوا بعدول وكذلك في سائر الفضائل اعني اذا
لم يظهر منهم اضداد هذه التي هي شرور ويظن لهم الناس
انهم افاضل وليست الفضائل اعدامات بل هي افعال
واحوال يظهر عند مشاركة الناس ومساكنتهم

وفي المعاملات وضروب الجماعات ونحن انما نعلم
ونتعلم الفضائل الانسانية التي يساكن بها الناس
ويخالطهم ونصبر على اذاهم ليصل بها ومنها الى
سعادات اخر اذا صرنا الى حال اخرى وبلك الحال
غير موجود لنا الآن تمت المقالة الاولى بحمد الله ومنه

المقالة الثانية

الخلوة حال للنفس داعية لها
الى افعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال تنقسم
قسمين منها ما يكون طبيعيا ومن اصل المزاج وذلك
كالانسان الذي يحرك له ادنى شيء نحو الغضب ويهيج
من اقل سبب وكالانسان الذي يحزن من ايسر شيء
كالذي يفزع من ادنى صوت يطرق سمعه او يرتاع
من خبر يسمعه وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من ادنى
عجبه وكالذي يغتم ويحزن من ايسر شيء يناله ومنها

ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب وربما كان
مبدأه بالروية والفكر ثم يستمر عليه اولا اولا
حتى يصير ملكة وخلقا وهذا الخلق القديم
في الخلق فعال بعضهم الخلق خاص النفس غير الناطقة
وقال بعضهم قد يكون للنفس الناطقة فهاهنا خطط
ثم اختلف الناس ايضا اختلافا ثانيا فقال بعضهم
من كان له خلق طبعي لم ينتقل عنه وقال آخرون
ليس شيء من الاخلاق طبعيا للانسان ولا هو
غير طبعي له وذلك انا مطبوعون على قبول الخلق
وانما ينقل الى الادب والمواعظ اما سريعا او بطيئا
وهذا الراي الاخير هو الذي نحن لانا نشاهد
عيانا ولان الراي الاول يودي الى ابطال قوة التمييز
والعقل والى رفض السياسات كلها وترك الناس

هملا مهملين والى ترك الاحداث والصبيان
على ما يتفق ان يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم
وهذا ظاهر الشناعة جدا واما الرواقيون
فظنوا ان الناس كلهم يخلقون اخيارا بالطبع
ثم يصيرون بعد اشرارا بمجالسة اهل الشر
والميل الى الشهوات الردية التي لا تقع بالبادية
فيهلك فيها ثم تتوصل اليها من كل وجه ولا يعلم
في الحسن منها والقبيح واما قوم اخرون كانوا قبل هؤلاء
فانهم ظنوا ان الناس اخلقوا من الطينة السفلى
وهي كدر العالم فهم لاجل ذلك اشرار بالطبع
واما صيرون الاخيار بالتاديب والتعليم الا ان
منهم من هو في غاية الشر لا يصلحه التاديب ومنهم
من ليس هو في غاية الشر فيمكن ان ينقل من الشر الى الخير

بالادب من الصبى ثم بمجالسة الاخيار واهل الفضل
واما جالنوس فانه راى ان الناس فيهم من هو خير
بالطبع وفيهم من هو شرير بالطبع وفيهم من هو متوسط
بين هذين ثم افسد المذهبين الاولين اللذين ذكرناهما
اما الاول بان قال ان كل الناس اخيار بالطبع وانما
ينقلون الى الشر بالتعليم فمن الضرورى ان يكون
تعليمهم الشر اما من انفسهم واما من غيرهم فان تعلموه
من غيرهم فان المعلمين الذين علموهم الشر هم اشرار
بالطبع فليس الناس كلهم اخيارا اذن بالطبع وان كانوا
تعلموه من انفسهم فاما ان يكون فيهم قوة تسوقهم
الى الشر فقط فهم اذن اشرار بالطبع واما ان يكون
فيهم مع هذه القوة التى تسوق الى الشر قوة اخرى
تسوق الى الخير الا ان القوة التى تسوق الى الشر

غالبة قاهرة للتى تسوق الى الخير وعلى هذا فجميع
يكونون اشرارا بالطبع واما الرابع الثانى فانه افسد
بمثل هذه الحجة وذلك انه قال ان كان كل الناس
اشرارا بالطبع فاما ان يكونوا تعلموا الخير من عندهم
او من انفسهم ونعيد الكلام الاول بعينه ولما افسد
هذين المذهبين صحح رأى ثالث من الامور البينة
الظاهرة وذلك انه ظاهر جدا ان من الناس من هو
خير بالطبع وهم قليلون ولا يسقل هؤلاء الى الشر
ومنهم من هو شرير بالطبع وهم كثيرون وليس ينسقل
هؤلاء الى الخير ومنهم من هو متوسط بين هذين
وهو اراد قد ينتقلون بصاحبه الاخيار وهو اعظمهم
الى الخير وقد ينتقلون بمعارفة اهل الشر واعوانهم
الى الشر واما ارسطوطاليس فقد بين فى كتاب الاخلاق

وفي كتاب المقولات ايضا ان الشيء يوصف وينقسل
بالمادب واخذ الناس السياسات الجيد الفاضل
لابد ان يؤثر في ضروب الناس ضروب التاثير
فمنهم من يقبل المادب ويحرك الى الفضيلة بسرعة
ومنهم من يقبله ويتحرك الى الفضيلة ببطاء ونحن
نولف من ذلك كله ثلاثا وهو هذا كل خلق يمكن تغيره
ولا شيء مما يمكن تغييره هو بالطبع فاذن لا خلق لاحد منه
بالطبع والمقدمتان صحيحتان والقياس منتج في الضرب
الثاني من الشكل الاول اما تصحيح المقدمة الاولى
وهو ان كل خلق يمكن تغييره فقد تكلمنا عليه واوضحناه
وهو من البرهان مما استدللناه من وجوب المادب
ونفعه وتاثيره في نفوس الاحداث والصبيان ومن الشرايع
الصادقة التي هي سياسة الله عز وجل لخلقه واما تصحيح

المقدمة الثانية وهي انه ولا شيء مما هو ممكن تغييره
هو بالطبع فهو ظاهر ايضا وذلك انا لا نزعم
في غير شيء مما هو بالطبع ابدا فان احدا لا يزعم
ان تغير حركة النار الى فوق الى الحركة الى اسفل
ولا ان يعود حركة الحجر الى اسفل حتى يصير الى العلو
ولا ما يجري مجراه اعني الاحوال التي هي بالطبع فقد صحت
المقدمتان وصح التاليف في الشكل الاول وهو ضرب البا
منه وصار برهانا فاما مراتب الناس في قبول هذا الادب
الذي سميناه خلقا والمساعد على تعلمه والحرص عليه
فانها كثيرة وهو يساعد ويعاون فيهم خاصة في نشو الاطفال
فان اخلاقهم تتطبع فيهم منذ مبادي نشوهم ولا يستدبرهم
بروية ولا فكر كما يفعله الرجل التام الذي انتهى في نشوه
وكماله الى حيث يتعرف بفكره ما سبق منه فيخفيه

بضروب من الحيل والافعال المضادة لما في طبعه
وان تتامل مزاج اخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الادب
او نفورهم عنه وما يظهر من بعضهم القحة وفي بعضهم
من الحياء وكذلك ما ترى فيهم من الجود والبخل والرحمة
والقسوة والحسد وضده من الاحوال المتفاوتة
ما يعرفه من مراتب الانسان في قبول الاخلاق الفاضلة
وتعلم معانيهم ليسوا على رتبة واحدة وان فيهم المواتي
والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والخير الشرير
والمتوسط من هذه الاطراف في مراتب لا تحصى
واذا اهملت الطباع ولم تروض بالتاديب والقوم
يساكل انسان على سوم طباعه ويبقى عمره كله على الحال
التي كان عليها في الطفولة وتبع ما وافقه في الطبع
اما الغضب واما اللذة واما الدينار واما الشره واما

واما غير ذلك من الطباع المذمومة والشريرة
هي التي تقوم الاحداث وتعودهم الافعال المرضية
وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضايل والبلوغ
الى السعادة الانسية بالفكر الصحيح والقياس
المستقيم وعلى الوالدين اخذهم به وبساير الاداب
الجملة بضروب السياسات من الضرب ان
ادعت الحاجة اليه او التوبيخات ان اقتضت فيهم
او الاطماع في الكرامات او غيرها مما يميل اليه
من الراحات او يحذرونه من العقوبات حتى اذا
يعودوا خلقا واستمروا عليه منذ من الزمان الذي
امكن فيهم وجيدا ان يعلموا براهين ما اخذوه تقليدا
وتنبهوا على طرق الفضايل واكسابها والبلوغ الى
غاياتها بعد الصناعة التي يحسن بسببها والله الموفق

اولا الانسان في ترتيب هذه الآداب وسياقتها اولا
الى الكمال الاخير طريق طبعي يشبه فيها بفعل
الطبيعه وهو ان ينظر الى هذه القوى التي يحدث
فيها ايها اسبق لنا وجودا فيبدا بتقويمها ثم باليها
على النظام الطبعي وهو من ظاهر وذلك ان اول
ما يحدث فيها هو الشيء العام الحيوان والنبات
ثم لا يزال يخص شيئا شيئا ويميزه عن نوع نوع
الى ان يصير الى الانسانيه فلذلك يجب ان نبدا
بالسوء الذي يحصل فيها للغذاء فنقومه ثم بالسوء
الذي يحصل فيها الى الغضب ومحبة الكراهة فنقومه
ثم نخرج الى السوء الذي يحصل فيها الى المعارف والعلوم
فنقومه وهذا الترتيب الذي قلنا انه طبعي انما حكمنا فيه
بذلك لانا نظهر فيها منذ اول نشوئنا اعني ان يكون اولا

اجنة ثم اطفالا ثم ناشئا كاملين ويحدث فيها
هذه القوى مرتبة فاما ان هذه الصناعة هي
افضل الصناعات كلها اعني صناعة الاخلاق
التي نعني بتجويد افعال الانسان بما هو انسان
فمن مما اقول لما كان للجوهر الانساني فعل خاص
لا يشاركه فيه شيء من موجودات العالم لما بينا
فيما تقدم وكان الانسان اشرف موجودات عالمنا
ثم لم يصدر افعاله عنه بسبب جوهره وشهناه
بالفرس الذي اذا لم يصدر عنه افعال الفرس على التمام
استعمل مكان الحمار بالاكاف ومكان الغنم بالذبح
وكان عدمه ادوج له من وجوده وجب ان تكون
الصناعة التي نعني بتجويد افعال الانسان حتى يصدر
عنه افعاله كلها تامة كاملة بحسب جوهره ويرفعه

عن مرتبة الاخس الى يستحق بها المقت من الله تعالى
والمراد في العذاب الاليم اشرف الصناعات كلها
واكرمها فاما سايد الصناعات الاخر فمراتبها
من الشرف بحسب مراتب جوهر الشيء الذي يستصلحه
وهذا ظاهر جدا لمن تصفح الصناعات لان منها
الدباغة التي يعني بها استصلاح جلود البهائم الميتة
ومنها صناعة الطب والعلاجة التي يستصلح الجواهر
الشريفة الكريمة وهكذا الهمم المتفاوتة التي يتصرف
بعضها الى العلوم الدنية وبعضها الى العلوم الشريفة ١٢
واذا كانت جواهر الموجودات متفاوتة في الشرف
في الجماد والنبات والحيوان اما في الحيوان فجوهر
الدبيدان والحشرات اذا قيس الى جوهر الانسان
واما في جوهر الموجودات الاخر فظاهر لمن اراد

ان يصلها فالصناعة والهمة التي تصرف
الى اشرفها اشرف من الصناعة والهمة التي تصرف
الى الادون منها وبحسب ان يعلم ان اسم الانسان
وان كان يقع على افضلهم وعلى ادونهم فان بين
هذين الطرفين اكثر مما بين كل متضادين من البعد
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال ليس في خيرا
مرائف مثل الانسان وحين قال عليه السلم
كالابل مائة لا تجد فيها راحلة واحدة وحين قال الناس
كاسنان المشط وفي بعضها كاسنان الحمار وانما
يتفاضلون بالعقل والخير في حجبه من لا يعرف
لك من الفضل ما تعرف له وفي نظائر هذه السنن كثير
يدل جميعها على هذا المعنى وان الشاعر الذي قال

ولم ار امثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عد الف بواحد

وان كان عندك انه قد بالغ فانه قصر والحق المروى
عن ابن صلى الله عليه انى وزنت باحتى فرجحت بهم
اصدق واوضح وليس هذا فى الانسان وحده بل
فى كثير من الجواهر الاخر وان كان فى الانسان اكثر
واشد تفاوتا فان من السيف المعروف بالصمصام
ومن السيف المعروف بالكهام تفاوتا عظيما
وكذلك الحال فى العاود الذى هو الفرس الكريم
ومن البرذون المقرف فمن امكنه ان يرقى الصناعة
دون هذه الجواهر مرتبة الى اعلاها فاشرفه
وبصناعته ما اكمله واكرمها فاما الانسان من
بين هذه الجواهر فهو مستعد بضروب من الاستعدادات
بضروب من المعاملات وليس ينبغى ان يكون الطمع فى
استصلاحه على مرتبة واحدة وهذا شئ نبين فيما بعد

شمسه الله عز وجل الا ان الذى ينبغى ان نعلمه الآن
ان وجود الجوهر الانسانى معلق بقدرة فاعله وخالقه
تبارك وتقدس اسمه فاما تجويد جوهره فمفوض الى الانسان
وهو معلق بارادته فاعرف هذه الجملة الى ان نخلص
فى موضعها ان شاء الله تعالى وقد قدمنا فى صدر هذا
الكتاب قولنا انه ينبغى ان يعرف نفوسنا ما هى ولاى شئ هى
ثم قلنا ان لكل جوهر هو جود كمالا خاصا به وفعلا
لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشئ وبيناه لك
غاية البيان فى الرسالة المسعدية واذا كان ذلك محفوظا
فنحن مضطرون الى ان نعرف الكمال الخاص بالانسان
والفعل الذى لا يشاركه فيه غيره من حيث هو انسان
لنحرص على طلبه وتحصيله ونجتهد فى بلوغ غايته
ونهايته ولما كان الانسان مركبا لم يجز ان يكون كماله

والفعل الخاص به كمال بسايط وافعالها الخاصة بها
والا كان وجود المركب باطل كالحال في الخاتم والسرير
فاذن له فعل خاص من حيث هو مركب وانسان
لا يشاركه فيه شيء من الموجودات الاخر فافضل الناس
اقدرهم على اظهار فعله الخاص به والزمهم له
من غير تعوق فيه ولا اخلال به في وقت دون وقت
واذا عرف الافضل فقد عرف الانقص على اعتبار
الضد فالكمال الخاص بالانسان كمالان وذلك
لان قوتين احديهما العاملة والاخرى العالمة فلذلك
تنساق احدى القوتين الى المعارف والعلوم
وتنساق الاخرى الى نظم الامور وترتيبها وهذان
الكمالان هما اللذان نص عليهما الفلاسفة فقالوا
النفس تنقسم فتنقسم الى الجزء النظري والجزء العملي

فاذا كمل الانسان بالجزء النظري والجزء العملي فقد
سعد السعادة التامة اما كماله الاول احدي قوتيه
اعني العالمة وهي التي تساق بها الى العلوم فهو
ان تصير في العلم بحسب تصدق نظره وتصح بصيرته
ويستقيم رويته فلا يغلط في اعتقاد ولا يشك
في حقيقة ويتهي في العلم بالامور الموجودة على التي
الى العلم الالهي الذي هو اخر مرتبة العلوم وبه
يسكن الله ويطمئن قلبه وينتهي حيرته ويحلى له
المطلوب الاخير حتى يحبه وهذا الكمال قد بينا
الطريق اليه واوضحنا سبله في كتب اخر
واما الكمال الثاني الذي يكون للقوة الاخرى
اعني القوة العاملة فهو الذي نقصد في كتابنا هذا
وهو الكمال الخلقي ومبدأه من رتب قواه وافعاله

اقصده حتى لا يغالب وحتى تسالم هذه القوة
ويصدر افعاله بحسب قوته المميزة منتظما مرتبا
كما ينبغي وينتهي الى البدن المدني الذي ترتب
فيه الافعال والقوى من الناس حتى ينتظم ذلك الانتظام
ويسعد واسعاده مشركة كما كان ذلك في الشخص
الواحد فاذن الكمال الاول النظري منزلته
منزلة الصور والكمال الثاني العملي منزلته منزلة
المادة وليس يتم احدهما الا بالاخر لان العلم
مبدأ والعمل تمام والمبدأ بلا تمام يكون ضايعا
والتمام بلا مبدأ يكون مستحيلا وهذا الكمال
هو الذي سميناه عرضا وذلك ان العرض
والكمال بالذات هما شيء واحد وانما يختلفان بالاضافة
فاذا نظر الى ذاته وهو يحصل في نفس الانسان ولم يخرج

الى الفعل فهو عرض فاذا خرج الى الفعل وتم
فهو كمال وذلك لكل حال في كل شيء لان البيت
اذا كان متصورا للبناني وكان عالما بجزايه
وتركيبه وساير احواله كان عرضا فاذا اخرجه
الى الفعل وتممه كان كمالا فقد صح مما جمع
ما قدمناه ان الانسان يصير الى كماله ويصدر عنه
فعله الخاص به اذا علم الموجودات كلها
اي يعلم كلياتها وصدورها التي هي ذواتها
لا اعراضها وخواصها الى بصيرها بلا نهاية
فاذا علمت كليات الموجودات فقد علمت
جزئياتها نحو ما لان الجزيات لا يخرج عن كلياتها
فاذا كملت هذا الكمال وممته بالفعل المنظوم
وربت القوى والملكات التي فيك تربيا علميا

كما سبق لك به فاذا انتهيت الى هذه المرتبه
فقد صرت عالما وجدل واستحققت ان تسمى عالما كبيرا
لان صور الموجودات كلها قد حصلت فى ذلك
فصرت انت هى بنحو ما ثم نظمتها بافعالك على نحو
استطاعتك فصرت فيها خليفه لولا كخالق الكل
جلّ عظمته فلم يحط فيها ولم يخرج عن نظامه
الاول الحكمى فصيرك هذا عالما تاما والتام
من الموجودات هو الدايم الوجود والدايم الوجود
هو الباقى بقاء سرمدا فلا يفوتك حينيذ شئ
من النعيم المقيم لانك بهذا الكمال مستعد الفيض
من المولى دايما ابدا وقد قربت منه القرب الذى
لا يجوز ان يحول بينك وبينه حجاب وهذه هى الرتبه
العليا والسعادة القصوى ولولا ان الشخص الواحد

مزاحم الناس بكمله تحصيل هذه المنزله فى ذاته
وتكميل صورته بها واتمام نقصانه بالترقى اليها
كان سبيله سبيل اشخاص الحيوانات الاخر او
كسبيل اشخاص النبات فى مصيرها الى الفناء
بالاستحالات التى يلحقها والنقصانات التى
لا سبيل الى اتمامها ولا استحالة فيه البقاء الابدى
والنعيم السرمدى المصير الى ربه ودخول جنته
ومن لا يتصور هذه الحاله ولا ينتهى الى علمها
من المتوسطين فى العلم يقع له شكوك فيظن
ان الانسان اذا لا ستقص تركيبه الجسمانى بطل
وتلاشى كالحال فى الحيوانات الاخر وفى النبات
فحينئذ يستحق اسم الالحاد ويخرج عن سمت الحكمة
وسنه الشريعه وقد ظن قوم ان كمال الانسان

وغايتها باللذات الحسيه وانما هي الخزانه
والسعاده القصوى وظنوا ان جميع قواه الاخر
انما ركبت فيه من اجل هذه اللذات والتوصل
اليها وان النفس الشريفه التي سميناها ناطقه انما
وهبت له ليتهيأ به الافعال وتميزها ثم يوجهها
ليكون الغايه الاخيره هي حصولها له على النهايه
وظنوا ايضا ان قوى النفس الناطقه اعني الذكر
والحفظ والرويه كلها يراد لتلك الغايه قالوا
وذلك لان الانسان اذا تذكر اللذه التي كانت حصلت له
بالمطاعم والمشارب والمناكح اشتاق اليها واحبت
معاودتها فصارت منفعه للذكر والحفظ
انما هي اللذه وتحصيلها واجل هذه الظنون التي
وقعت لهم جعلوا النفس المميزه الشريفه كالعبد الممتهن

وكالخادم المستعمل في خدمه النفس لشهوته ليتهيأ لها
في المآكل والمشارب والمناكح ويرتبها له ويعدها اعدادا
كاملا موافقا وهذا هو رأي الجمهور من العامه
الرعاع وجهال الناس السقاط والى هذه الجهات
الى جعلوها غاياتهم تشوفوا عند ذكر الجنه والقرب
من ربهم عز وجل وهي التي يسألونه ربهم تبارك وتع
في دعواتهم وصلواتهم واذا خلوا بالعبادات وتركوا
الدنيا وزهدوا فيها فانما ذلك منهم على جهة المتاجر
والمرابحة في هذه بعينها كانهم تركوا قليلها ليصلوا
الى كثيرها واعرضوا عن الفانيات منها ليبلغوا الى
الباقيات الا انك تجدهم مع هذه الاعتقاد
وهذه الافعال اذا ذكر عندهم الملاكله والمأكول الاعلى
الاشرف وما نزههم الله عنه من هذه القاذورات

علموا بالجملة انهم اقوى الى الله تعالى واعلى رتبة عند الناس
وانهم غير محتاجين الى شيء من حاجات البشر بل يعلمون
ان خالقهم وخالق كل شيء تعالى الذي تعالى ابداع الكل
هو منزه عن هذه الاشياء متعال عنها غير موصوف
باللذة والتمتع مع التمكن من ايجادها لنفسه وان الناس
يشاركون في هذه اللذات الخنافس والدبدبان وصغار
الحشرات والهمج من الحيوان وانما يناسبون الملائكة
بالعقل والتمييز فهم يحرمون من هذا الاعتقاد وبهذا اعتقاد
الاول وهذا هو العجب العجب وذلك انهم يرون
عيانا ضروراتهم بالاذى الذي يلحقهم بالجوع والعرى
وضروب النقصانات وحاجاتهم الى مداواتها
بما يدفعها عنهم فاذا زالت آثارها وعادوا الى حال السلامة
منها التذوا بذلك ووجدوا الراحة لذة فلا يشعرون

انهم اذا شاقوا الى لذة المآكل فقد اشتاقوا
اولا الى الم الجوع وذلك انهم ان لم يألموا بالجوع
لم يلتذوا بالاكل وهذا الحال هكذا في سائر
اللذات الاخر الا ان هذا الحال في بعضها اظهر
منها في بعض وسنتكلم على ان صورة الجمع واحدة
وان اللذات كلها انما تحصل للملتذ بعد الالم
بلحقه لان اللذة هي راحة من الم وان كل الذ
حسبنا بما هي خلاص من الم واذى في غير هذا الموضع
وسيظهر عند ذلك ان مرضى نفسه بتحصيل
اللذات البدنية وجعلها غايته واقصى سعادته
فقد رضي لنفسه بأخس العبودية لاخس الموالي واحطه
يصير بها الكرامة التي تناسب بها الملائكة عبيدا
للنفس الدنية التي تناسب بها الخنازير والخنافس والديدان

وحشا يبن الحيوانات الى يشاركه في هذه الحال وقد
يعجب النفوس في كتابه الذي سماه باخلاق النفس
عن هذا الراي وكثر استجهاله للقوم الذين هذه مرتبتهم
من العقل الا انه قال ان هؤلاء الجهال الذين سيرتهم
السوسية واردافها اذا وجدوا انسانا هذه رايه
ومذهبه نصروه ونوهوا به ودعوا الله ليوهموا
انهم بذلك غير منفردين بهذه الطريقة لانهم يظنون انهم
متى وصفوا اهل الفضل والنبل من الناس بمثل ما هم عليه
كان ذلك عندهم اتم وتموها على قوم آخرين في مثل طريقتهم
وهؤلاء هم الذين تعتقدون بهم احداث باياهم
ان الفضيلة هي ما عودهم الله طبيعة البدن
والملاذ وان تلك الفضايل اخر الملكية اما ان يكون لها طا
ليست بالبنية واما التي يكون غير ممكنة الا بعد من الناس

والناس مع ذلك يلوذون بالطبع الحسداني الى الشهوات
فيكثر اتباعهم ويقل الفضلاء منهم واذا انتبه الواحد
بعد الواحد منهم علم ان هذه اللذات انما هي لضرورة
الجسد وان بدنه مركب من الطبايع المتضادة اعني
الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وانما تعالج
بالمآكل والمشارب اعراضا تحدثه عند الانحلال
محفظ تركيبه على حاله واحدة ابدا ما امكن ذلك فيه
وان علاج المرض ليس بسعادة تامة والراحة من الالم
ليست بغاية مطلوبة ولا خير محض وان السقم التام
هو من لم يعرض له مرض البتة وعرف مع ذلك
ان الملائكة الابرار الذين اصطفاهم الله لقربه لا يلحقهم
هذه الآلام فلا يحتاجون الى مداواتها بالاكل والشرب
وان الله تعالى منزه متعال عن هذه الاوصاف على رضاه

بان بعض البشر افضل من الملائكة وان الله تعالى
اجل من ان يذكر مع الخلق وشاغبوه وتسفهوا رايه
وادعوا له شبها باطله حتى يشك في صحة ما ينبه عليه
وارشد عقله عليه والعجب الذي لا يمضي هو
انهم مع رايهم هذا اذا وجدوا واحدا من الناس قد ترك
طريقهم التي يسلكون اليها واستهان باللذ والتمتع
وصام وطوى واقتصر على نبات الارض عظموه
وكثر تعجبهم منه واهلوه للمرتبة العظيمة وزعموا
انه صفي الله وولية وانه شبيه بالملك واذا رفع
طبقة من البشر وخضعون له ويتلون غاية الذل
ويعدون انفسهم اشقيا بالاضافة اليهم والسبب في ذلك
انهم وان كانوا من افن الراي وسفاهته على ما ترى
فان فيهم من ملك القوة الاخرى الكريمة المميزة وان كانت

ضعيفة عاجزة عن فضله ذوي الفضائل فيضطرون
الى اكرامهم وتعظيمهم واذا كانت القوى الثلاث كاملة
مراد بالفؤاد منها النفس العالمة والوسطى النفس البهيمة
والاشرف النفس الناطقة والانسان انما صار انسانا
بافضل هذه النفوس اعني الناطقة وبها يشارك الملائكة
وبها باين البهائم فاشرف الناس من كان حظه من هذه
النفس اكثر وانصرافه اليها اتم واوفر ومن غلبت عليه
اخرى النفوس الاخرى انحط عن مرتبة الانسانية
بحسب غلبة تلك النفس عليه فانظر رحمك الله اين تضع
نفسك واين تحب ان تنزل من المنازل التي رتبها الله تعالى
لموجودات فان هذا امر هو كول الملك مردود الى
اختيارك فان شئت فانزل في منازل البهائم فانك تكون
منهم وان شئت فانزل في منازل السباع وان شئت

ففي منازل الملائكة وكن منهم وفي كل واحد من
المراتب مقامات كثيرة فان بعض البهائم اشرف
من بعض وذلك لقبول التاديب لان الفرس انما
شرف على الحمار لقبول الادب وكذلك البازي
في فضله على الغراب واذا تاملت الحيوان كله
وجدت القابل للتاديب الذي هو اثر النطق
اعني النفس الناطقة افضل من سائر وهو يتدرج
في ذلك الى ان يصير الى الحيوان الذي هو في افق الانسان
اعني الذي هو اكمل البهائم وهو في اخس مراتبه وذلك
ان الخس هو من كان قليل العقل قريبا من البهيمة
وهم القوم الذين في اقاصي الارض المعمورة وسكان
آخر ناحية الجنوب والشمال لا يفصلون عن القرود
الا بشيء قليل من التمييز وبذلك القدر يستحقون

اسم الانسانية ثم يتمادون في هذا المعنى
حتى يبلغوا الى وسط الاقاليم ويعتدل مزاجهم
القابل لصور العقل فيصيرهم العاقل التام
والمميز العالم ثم يتفاضلون ايضا في هذا المعنى
الى ان يصيروا الى غاية ما يمكن للانسان ان يبلغ اليه
من وصول قوة العقل والنطق فيصير حينئذ في الافق
الذي من الانسان والملك ويصير فيهم القابل للوحي
والمطيق لحمل الحكمة فيفيض عليه قوة العقل ويسخر
له نور الحق وزاحاله للانسان اعلى من هذه ما دام انسانا
ثم ارجع القهقرى الى النظر في الرتبة الناقصة التي
هي دون مراتب الانسان فانك تجد القوم الذين يضعف
فيهم القوة الناطقة وهم القوم الذين ذكرنا انهم في افق البهائم
يقوى فيهم النفس البهيمة فيميلون الى اشباه الها

المأخوذ بالحواس كالمأكول والمشروب والملبوس
وسايرالذوات البهيمة الشبيهة بها وهؤلاء
هم الذين يحدهم الشهوات القوية بقوى نفوسهم البهيمة
حتى يركبوها ولا يرتدعوا عنها وبقدرها يكون
فيهم من القوة العاقلة يستحيون منها حتى يستتروا
بالبيوت ويتوارون في الظلمات اذا هموا بلذة بضعهم
وهذا الحياء منهم هو الدليل على قبحها فان الجميل
بالاطلاق هو الشيء الذي يتظاهر به ويستحب اخراجه
واذاعته وهذا القبح ليس لشيء اكثر من النقصانات
اللازمة للبشر وهي التي يسامون الى ازالتها فالفحشاء
هو انقصها وانقصها هو احوجها الى الستر والدفن
ولو سالت القوم الذين يعظمون امر اللذة ويجعلونه
الخير المطلوب والغاية الانسانية لم يكتموا الوصول

الى اعظم الخيرات عندكم وما بالكم تتحدون مواقعتها
خفية ثم تستترون بها وتدفنون سترها وكتمانها فضيلة
ومروة وانسانية والمجاهرة بها واظهارها بين اهل الفضل
وفي مجامع الناس خساسة وفحش تظهر من انحطاطهم
وتبلدهم في الجهالات ما تعلم به سوء مذهبهم وخبث
سيرتهم واقلهم حظا من الانسانية اذا رأى انسانا
فاضلا احتشم ووقر واحب ان يكون مثله الا
الشاذ منهم الذي بلغ من خساسة الطبع ونزان الانسانية
ووقاحة الوجه الى ان يصير على نصب ما هو عليه
من غير محبة لرتبة من هو افضل منه فاذن يجب
على العاقل ان يعرف ما ابتلي به الانسان من هذه
النقصانات التي في جسمه وحاجاته الضرورية
الى ازالتها وكتمانها ايانا لعذ الذي يحفظ به

اعتدال المزاج أم قوة حيوانية فينال منه
قدر الضرورة في كماله ولا يطلب اللذة بعينها
بل قوام الحلوة التي تتبعه اللذة فان تجاوز ذلك قليلا
فقد ما يحفظ في مروءة ولا ينسب الى الدناءة
والبخل بحسب حاله ومرتبته بين الناس واما باللباس فالذي
يدفع به اذى الحر والبرد وستر العورة فان تجاوز ذلك
فقد ما لا يستحقر ولا ينسب الى الشح على نفسه والى
ان يسقط بين اقرانه واهل طبقته واما بالجماع فالذي
يحفظ نوعه ويبقي به صورته اعني طلب النسل فان
تجاوز ذلك فقد ما لا يخرج به عن السنة ولا يعد
ما يملكه الى ما يملك غيره ثم تلتمس الفضيلة في نفسه العاقلة
التي هي اصل انسانا وينظر الى النقصانات التي في هذه
النفس خاصة فيروم بكمالها بطاقته وجهده فان هذه

الخيرات هي التي لا تستر واذا وصل اليها لا يمتنع
منها بالحياء ولا يتوارى عنها بالحيطان وانظار
ويتظاهر فيها ابد بين الناس وفي المحافل وهي التي بها
يكون بعض الناس افضل من بعض وبعضهم اكثر انسانية
من بعض وتعهد هذه النفس بغذائها الموافق لها
المتمم لنقصانها كما تعهد الملك اغنيا الملائمة لها
فان غذاء هذه هو العلم والزيادة في المعقولات
والارتياض بالصدق في الاداء وقبول الحق حيثما كان
ومع من كان والنفور من الكذب والباطل كيف كان
ومن اين جاء فمن افضله في الصبي ان يربى على ادب السريعة
ويؤخذ بوظايفها وشرايطها حتى يعودها ثم ينظر
بعد ذلك في كتب الاخلاق حتى يأكد تلك الآداب
والمحاسن في نفسه بالبراهين ثم ينظر في الحساب والهندسة

حتى يعود صدق القول وحده البرهان ولا يسكن الا اليها
ثم تتدرج كما رسمناه في كاننا الموسوم بترتيب السعادات
ومنازل العلوم حتى تبلغ الى اقصى مرتبة الانسان
فهو السعد الكامل فليكثر حمد الله تعالى على الموهبه
العظيمه والمنه الجسيمه ومن لم تتفوق ذلك في مبدأ
نشوئهم ثم ابتلى بان تربيه والداه على رواية الشعراء
الفاحش وقبول الكاذبه واستحسان ما يوجد فيه
من ذكر القبائح ونيل اللذات كما يوجد في شعرائهم النفس
والنابغه وامثالهم ثم صار بعد ذلك الى رؤساء
يقربونه على روايتها وقول مثلها يجزلون له العطيه
ويمتحنا قران يساعدونه على تناول اللذات الجسمانيه
وقال طبعه الى الاستكثار من المطاعم والمشارب والمراكب
والزهو وارتباط الخيل الغر الفره والعبد الوفره

كما اتفق لمثل ذلك في بعض الاوقات ثم انهم فيما
واستغل باعراض السعادة الى اهل لها فليعد عن ذلك
شقا لا نعما وخسرانا لا ربحا وليجتهد على التدرج
الى فطام نفسه وما اصعب ذلك الا انه على حال
خير من الماضي في الباطل وليعلم الناظر في هذا الكتاب
اني خاصه قد تدرجت الى فطام نفسي بعد الكبر واستحكام العاده
وجاهدتها جهدا عظيما ورضت لك ايها الفاضل
عن الفاضل والفضائل والطالب للادب الحقيقي
بما رضيت لنفسي بل تجاوزت لك في النصيحه الى ان
اشرت عليك بما فاتني في ابتداء امري لتتدبره ان
وفقك الله على طرق النجاه قبل ان تتيه في مفاوز
الضلاله وقدمت لك السفينه قبل ان تغرق في بحور المهالك
والله الله ثم الله الله في نفوسكم معاشر الاخلاء ورفقاء

والاولاد استسلموا للحق وتأدبوا بالادب الحقي
لا المزري وحضروا الحكمة البالغة وانتهجوا الصراط
المستقيم وتصوروا احالات انفسكم وتذكروا قواها
واعلموا ان اصح مثل ضرب لكم من نفوسكم المثلث
التي مر ذكرها في المقالة الاولى مثل بلثة حيوانات
مختلفة جمعت في رباط واحد ملك وسبع وخنزير
فاتيتها بغلبة بقوة الباقر كان الحكم له ولنعلم
من تصور هذا المثل ان النفس لما كانت جوهرا غير جسم
ولا شيء فيها من قوى الجسم واعراضه كما بينا لك ذلك
في صدر الكتاب كان اتحادها واتصالها خلاف اتحاد
الاجسام واتصال بعضها ببعض وذلك ان هذه النفس المثلث
اذا اتصلت صارت شيئا احدا ومع انها تكون شيئا احدا
هي باقية التغاير وباقية القوى بشور الواحد بعد الواحد

حتى كانها لم تتصل الاخرى ولم تتحد بها وستحدى ايضا
الواحد للاخرى كانها غير موجود، ولا قوة لها بقوة
وذلك ان اتحادها ليس لان تتصل نهاياتها ولا بان
تتلاقى سطوحها كما يكون ذلك في الاجسام بل يصير
في بعض الاحوال شيئا واحدا وفي بعض الاحوال
اشياء مختلفة بحسب ما يهيج بعضها او يسكن
ولذلك قال قوم ان النفس واحدة ولها قوى وقال
آخرون بل هي واحدة بالذات كثيرة بالموضوع
وهذا شيء يخرج الكلام فيه عن غرض الكتاب
وسيمر بك في موضعه وليس يضرك في هذا الوقت
ان تعتقد ان هذه الآراء صحيحة بعد ان تعلم
ان بعض هذه كرية ادبية بالطبع وبعضها مهيئة
عادة للادب الا انها تقبل التاديب وتنقاد للتي

هي دبيه اما الكره الادبيه بالطبع فالنفس الناطقه
واما العاده للادب وهي مع ذلك غير قابله له فهي
النفس البهيميه واما التي عدمت للادب ولكنها
تقبله وتنقاد له فهي النفس الغضبيه واما وهب الله تعالى
لنا هذه النفس خاصه لنستعين بها على قهر البهيمه التي
لا تقبل الادب وقد شبه القدماء الانسان
وحاله في هذه الانفس الثلث بانسان راكب بهمه قويه
يقود كلبا قويا او فهدا للقنص فان كان الانسان
ممن يفهم هو الذي يروض دابته وكلبه ويصرفهما وطبعانه
في تصيد وسعي وسائر متصرفاته فلا شك في
رغد العيش المشترك من الثلثه وحسن احوالهم
لان الانسان يكون مرفها في بطالته بجري فرسه
حيث يحب وكما يحب ويطلق كلبه ايضا كذلك
فاذا نزل واستراح اراحهما معه واحسن القيام عليهما
وازاح علتهما في المطعم والمشرب وكفاه مؤنة اعدائه
وغير ذلك في مصالحهما واذا كانت البهيمه هي الفاره
سمانه جال الله كلهم وكان الانسان مضعوفا عندها
فلم تطع فارسها وغلبت فان راث عشيا من بعد
غدت نحوه وتعسفت في عدوها وعدلت عن الطريق
النهج فاعترضها الاوديه والوهاد والشوك والشجر
فيفتحها وتورطت فيها ولحق فارسها ما يلحق مثله
في هذه الاحوال فيصيبها جميعا من انواع المكاره والاشراف
على الهلكه ما لا يخفى به وكذلك ان قوى الكلب
لم يطع صاحبه فان راى من بعد صيدا او ما يظنه
اخذ نحوه بخبث الفارس وفرسه ولحق الجميع من الضرر
والضراء اضعاف ما ذكرناه وفي تصور هذا المثل

التي هي مصالح دارها نجاتنا دخلاصنا الى الفوز
والنعيم السرمد وقد شبه الحكماء من اهمل سياسة نفسه
العاقله وترك سلطان الشهوه يستولي عليها وعلى
معه يا قوته شريفه جمة لا مثلها من الذهب والفضه
جلاله ونفاسه وكان بين يديه نار تضطرم فرماها
في جاجها حتى صارت كلسا لا منفعه فيها فحرمت
وحسر ضروب منافعها فعدنا الآن ان النفس العاقله
اذا عرفت شرف نفسها واحبت بمعرفتها الله عز وجل
احسنت خلافته في تهذيب هذه القوى وسياستها
ونهضت القوه التي اعطاها الله تعالى الى محلها من كرامة الله
ومنزلتها من العلويه والشرف ولم تخضع للسبع ولا
البهيمه بل يقوم النفس الغضبيه ويقودها الى الادب
ويحملها على حسن طاعتها ثم تستنهضها في اوقات هيجان

الذي حضرته القدماء تنبيه على حال هذه النفوس
بعضها مع بعض ودلاله على ما وهبه الله عز وجل للانسان
وملكه منه وعرضه له وما يضيعه بعصيان خالقه
فيما عند اهمال السياسه واتباعه امرها من القوى
وتعبد لها وهما اللسان ينبغي ان يتبعاه بتمام عليها
فمن اهوج حالا ممن اهمل سياسه الله عز وجل وضيع
نعمته عليه وترك هذا القوى فيه هائجه مضطربه
تغالب وصار الانس منها مرؤوسا والملك فيها مستعبدا
يعلب معها في المهالك حتى تهلك وتهلك معها هو ايضا
نعوذ بالله من سوء حكاس في الخلق الذي سببه طاعه الشيطان
واتباع الاباليسه فلست الاسان بها الى غير هذه القوى
التي وصفناها ووصفنا احوالها ونسال الله عصمته
وصونه على تهذيب هذه النفوس حتى تسمو بها الى طاعته

هذه النفس البهيمية وحسن كبها الى الشهوات حتى تقمع
هذه سلطان تلك وتستخدمها في اداتها والسبعية
تقوى هذه على اباية تلك وذلك ان هذه النفس الغضبية
قابلة للادب قوية على مع الاخرى كما قلنا وتلك النفس
البهيمية عادمة للادب غير قابلة له واما النفس الناطقة
اعني العاقلة كما قال افلاطن فهذه الالفاظ اما يهيء
فمنزلة الذهب في الليونة والانعطاف واما تلك فمنزلة
الحديد في الصلابة وبراحتياج قال انت آثرت العقل
والفعل الجميل في وقت وجاذبتك القوة الاخرى
الى اللذة والى خلاف ما آثرت فاستعن بقوة الغضب
التي تثور وتهيج بالانفة والحمية واقهرها النفس البهيمية
فان غلبتك صح ذلك ثم ندمت وانفت فانت في طريق
الصلاح فتمم عزيمتك واحذر ان تعاود كل الطمع فتلك

والغلبة لك فان لم تفعل ذلك ولم تكن العقبى في الغلبة لك
كنت كما قال الحكيم براول انى ارى اكثر الناس يعرفون محمد
الافعال الجميلة ثم يحملون الموت فيها على علمهم
بفضلها فغلبهم التي فيه ومحبة البطالة حتى لا يكون منهم
وبس من لا يحب الجميل فرأى اذا لم يحملوا مؤنة الصبر
فيصيروا الى الامام ما آثروه وعرفوا فضله واذكروا
مثل البيرا التي تردى فيها البصير براعى فيكون ان
في الهلكة سواء الا ان الاعمى اعذر ومن وصل
من هذه الآداب الى مرتبة يعتد بها واكتسب
الفضائل التي عددناها فقد وجب عليه تاديب
غيره وافاضة ما اعطاه الله تعالى على اناء جنسه

فصل في تاديب الاحداث والصبيان خاصة

نقلت اكثر من كتاب بروس قد قلنا فيما تقدم

أن أول قوة تظهر في الانسان اول ما يكون هي القوة
التي يسعى بها الى الغذاء الذي هو سبب كونه حيا
فيتحرك بالطبع الى اللبن ويلتمسه من الثدي هو معلنه
من غير تعليم ولا توقف ويحدث له مع ذلك قوة
على التماسه بالصوت الذي هو مادته ودليله الذي
يدل به على اللذ والاذى ثم يتزيد فيه هذه القوة
ويشوق بها ابدا الى الازدياد والتصرف لها في انواع
الشهوات ثم يحدث فيه قوة على التحرك نحوها بالآلات
التي يحمل له ثم يحدث له الشوق الى الافعال التي يحصل له
هذه ثم يحدث له من الحواس قوة على التخيل ومن هي قوة
الخيال له مثالات فيتشوق الهاشم يظهر فيه قوة الغضب
التي يسعى بها الى دفع ما يؤذيه ومقاومة ما يمنعه ومنافعه
فان اطاق سفه ان ينتقم من هو ذيا تنقم منها والا التمس

معونة غيره وانتصر بوالديه بالتصوت والبكاء
ثم يحدث له الشوق الى تمييز الافعال التي انما يخصه
اولا اولا حتى يصير الى كماله في هذا التمييز يسمى حينئذ
عاقلا وهذه القوى كلها وبعضها ضرورية في وجود
الاخرى الى ان ينتهي الى الغاية الاخيرة وهي التي لا يراد
لغاية اخرى وهو الخير المطلق الذي يشوق اليه الانسان
من حيث هو انسان فاول ما يحدث فيه من هذه القوة
الحياء وهو الخوف من ظهور شيء قبيح منه ولذلك قلنا
ان اول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي ويستدل به على
عقله الحياء فانه يدل على انه قد حس بالقبح ومع احساسه
به هو يحذره ويتجنبه ويخاف ان يظهر منه او فعله
فاذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحيا فاطرق رأسه
الى الارض عرق واحمر الوجه وارتعد فاعلم انه اول دليل

والشاهد لك على ان نفسه قد احبت الجميل والقبيح
وان حياءه وانحصار نفسه خوفا من قبيح يطلع منه
وهذا ليس بشئ اكثر من اشتمال الجميل والهرب من القبيح
بالتميز والعقل وهذه النفس مستعدة للتاديب
صالحة للعناية لا يجب ان يهمل ولا يترك ويخالطه
الاضداد الذين نفسدون بالمقارنة والمداخلة من كان
بهذه الحال مراعى الاستعداد لقبول الفضيلة فان نفس الصبي
ساذجة لم تنقش بعد بصورة ولا لها راى وعزيمة
تميلها الى شئ مرسى فاذا نقش بصورة وقبلها
تشاغلها واعتادها فالاولى مثل هذه النفس ان
تنبه ابدا على حب الكرامة ولا سيما ما يحصل له منها
بالدين دون المال وبلزوم سنته ووظايفه
ثم تلقح الاخيار عنده ويمنع هو في نفسه اذا ظهر شئ

جميل منه ويخوف من المذمة على ادنى قبيح يظهر منه
ويواخذ باشتهاءه بالمآكل والمشارب والملابس الفاخرة
وزين عنده خلاف النفس والتقنع عن الحرص في المآكل خاصة
لا في اللذات عامة ويحبب اليه ايثار غيره على نفسه
في الغذاء ويراقصار على الشئ المعتدل ويراقتصاد
في لباسها وتعلم ان اولى الناس بالملابس الملونة
والمنقوشة النساء اللاتي تزين للرجال ثم للعبيد
والخول وان الاحسن لاهل النبل والشرف من
اللباس الناصع وما اشبهه حتى اذا تربى على ذلك
وسمعه من كل من يقرب منه ويكسبها عنه لم يترك
ومخالطة من يسمع منه ضد ذلك لا سيما ما ترى به
ومن كان في مثل سنه ممن يعاشره ويراعيه وذلك
ان الصبي في ابتداء نشوه يكون على اكثر قبيح من افعال

اما كلها واما اكثرها فانه يكون كذوقا نجده ويحكى
عالم يسمعه ولم يرَ ويكون خصوصا سرورا قائما
لجوجا ذا فضول ويحك اضر شئ بنفسه وبكل امرئ ملابسه
ثم لا يزال به التاديب والسن والتجارب حتى ينقل
في احوال بعد احوال فكذلك ينبغي ان يؤخذ ما دام طفلا
بما ذكرناه ويدكن ثم يطالب بحسن مجالس الاخيار
والاشعار التي مجراها مجرى ما تعوده بالادب حتى
تتاكد عنده وراءتها وحفظها والتذاكر بها جمع
ما قدمناه ذكره ويحذر النظر الى الاشعار السخيفه
وما فيها من ذكر العشق واهله ولم يوهم اصحابها
انه ضرب من الظرف ورقة الطبع فان هذا الباب
مفسدة للاحداث جدا ثم يمدح بكل ما يظهر عنه
من خلق جميل وفعل حسن ويكرم عليه فان خالف

او عليه
في بعض الاوقات ما ذكرته فلا اقل من ان لا يوبخ
ولا يكاشف بانه اقدم عليه بل يتغافل عنه تغافل
من لا يخطر بباله انه قد تجاسر على مثله ولا يهم به
لا سيما ان ستر الصبي واجتهد في ان يخفي ما فعله
على الناس فان عاد فليوبخ عليه سرا وليعظم عليه
ما اتاه ويحذره معاودته فانك ان عودته التوبيخ
والمكاشفة جملته على الوقاحة وحمضته على المعاودة
وهان عليه سماع الملامة في ركوب قباح اللذات
التي يدعوا اليها الهاتف وهذه اللذات كلها جدا
والذي ينبغي ان يدأب به في يقومها ادب المطاعم فيعلم اولا
انها انما تراد للصحة لا للذة وان يراعنه كلها انما خلقت
واعدت لما يصح بها ابداننا وتصير مادة لحياتنا
فهي بحرى مجرى الادوية يداوى بها الجوع وبرد الحادث منه

فكر ان الدواء لا يراد للذة ولا يستكثر منه للشره
فكذلك الاطعمة لا ينبغي ان يتناول منها الا ما يحفظ
صحة البدن ويدفع الم الجوع ويمنع حر المرض فيقصر عليه
قدر الطعام الذي يستطعمه اهل الشره ويقنع عند
صوت مر لشيء اليه وينال منه فوق حاجته بدة
او ما لا يوافقه حتى يقتصر على لون واحد ولا يرغب
في تبدل الوان الكثرة واذا جلس مع غيره لا يبادر الى الطعام
ولا يديم النظر الى الوانه ولا يحدق اليه شديدا
ويقتصر على ما يليه ولا يسرع في الاكل ولا يوالي
بين اللقم بسرعة ولا يعظم اللقمة ولا يبتلعها
حتى يجيد مضغها ولا يلطخ يده ولا ثوبه ولا يلحظ
من يواكله ولا يتبع بنظره مواقع يده من الطعام
ويعود ان لو نثر عيء بما يليه ان كان افضل غذاء

ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على ادنى الطعام
وادونه ويأكل الخبز القفار الذي لا ادم معه في بعض
الاوقات وهذه الآداب وان كانت جميلة بالفقراء
فهي بالاغنياء اجمل وينبغي ان يستوفي غذاءه بالعشي فانه
ان استوفاه بالنهار كسل واحتاج الى النوم وتبلد فهمه
مع ذلك وان منع اللحم في اكثر اوقاته كان انفع وافعاله
في الحركة واليقظة وقلة البلادة وبعثه على النشاط
والخفة واما الحلوى والفاكهة فينبغي ان يتمتع بها
البتة ان امكن والا فليتناول اقل ما يمكن فانها تستحيل
في بدنه فيكثر انحلاله ويتعود مع ذلك الشره ومحبة
الاستكثار من المأكل ويتعود الا يشرب في خلال
طعامه الماء فاما النبيذ واصناف الاشربة المسكرة
فاياه واياها فانها تضر في بدنه ونفسه وعمله على شرة الغضب

والتهور والاقدام على القبايح وعلى ايذاء
ولا ينبغي ان يحضر مجالس اهل الشرب الا ان يكون
اهل المجلس ادباء فضلاء فاما غيرهم فلا يسمع الكلام
القبيح والسخافات التي تجري فيه وينبغي الا ياكل
حتى يفرغ من وظايف الادب التي تعلمها ويتعب
تعبا كافيا وينبغي ان يمنع من كل فعل يستتر وتخفيه
فانه ليس يخفى شيا الا وهو يظن او يعلم انه قبيح
ويمنع من النوم الكثير فانه يقبحه ويغلظ ذهنه
ويميت خاطره هذا بالليل فاما بالنهار فلا ينبغي ان
يتعود البته ويمنع ايضا من الفراش الوطي وجميع
انواع التوفة حتى يصلب بدنه ويتعود الخشونة ولا
يعود الخيش والسراب في الصيف ولا الاوبار والنيران
في الشتاء للاسباب التي ذكرناها ويعود المشي والحركة

والركوب والرياضة حتى لا يتعود اضدادها ويعود
ان لا يكشف اطرافه ولا يسارع في مشيه ولا
يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ولا يولي شيا ولا
يمس لباس النساء ولا يلبس خاتما الا وقت حاجته اليه
ولا يفتخر على اقرانه بشي مما يملكه والده ولا بشي من
ماكله وملابسه وما يجري مجراه بل يتواضع لكل احد
ويكرم كل من عاشره ولا يتوصل بشرف ان كان له
او سلطان من اهله ان يفوق الى الغضب من هو دونه
او استهداء من لا يمكنه ان يرده عن هواه ويطاوله
عليه كما انفوله ان كان خاله وزيرا او عمه سلطانا
فيسرع الى هضيمة اقرانه وتلم اخوانه واستباحة
اموال جيرانه وضعاريفه وينبغي ان يعود ان لا يتبرم
في مجلسه ولا يتخطى ولا يثاوب بحضرة غيره ولا يمنع

رجلاه الى رجل ولا يضع يده تحت قفاه ليساعده ولا ينهمه
رأسه بيده فان هذا دليل الكسل وانه قد بلغ به القبح
الى ان يحمل رأسه حتى يسعى بيده ويعود ان لا يكذب
ولا يحلف البته اصادقا كان او كاذبا فان هذا قبيح
بالرجال مع الحاجة اليه في بعض الاوقات فاما الصبي
فلا حاجة له الى اليمين ويعود ايضا الصمت وقلة الكلام
وان لا يتكلم الا جوابا واذا حضر من هو اكبر منه اشتغل
بالاستماع منه والصمت له ويمنع من حيث الكلام
عن هجينه ومن السب واللعن ولغو الكلام
ويعود حسن الكلام وطريقه وجميل اللقاء ولين
ولا يرخص له ان يستمع اضدادها من غيره ويعود
خدمة معلمه وكل من كان اكبر منه ولحوح الصبيان
الى هذا الادب واذا رأى اعتياء والمتزفين ويبغي اذا

يسره المعلم ان لا يصرخ واستشفع باحد فان هذا
فعل المماليك ومن شوهوا ضعف ولا يعير احدا
الا بالقبح والسيئ من الادب ويعود ايضا ان يبر
الصبيان ويكافيهم على الجميل الذي منه ليلا تعود
الربح على الصبيان وعلى الصلق ويبغض الله الفضة
والذهب ويحذر منهما اكثر من تحذير السباع والحيات
والعقارب ويراقبني فان آفة حب الذهب والفضة
اكثر من آفة السموم وينبغي ان يؤذن له في بعض الاوقات
ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب
ولا يكون في لعبه الم ولا تعب شديد ويعود طاعته والبره
ومعلميه وصوديه وان ينظر اليهم بعين اجلاله والتعظيم
وتيهابهم فان هذه الآداب هي النافعة لهم وهي للكبار
من الناس ايضا نافعة ولكنها للاحداث انفع لانها تعودهم

حب الفضايل وبغضهم عليها فلا يشغل عليهم بحث الرذايل
وليسهل عليهم بعد ذلك جميع ما يرسمه الحكمه وتحثهم
الشريعه والسنه ويعتادون بضبط النفس عما تدعوهم
اليه من اللذات القبيحه وتكفهم عن الانهماك في شئ منها
والذكر الكثير فيها وتشوقهم الى مرتبه الفلسفه العاليه
وتريقهم الى معالي الامور التي وصفناها في اول الكتاب
من التقرب الى الله تعالى وتعظيم ملايكته ومحاورتهم
مع حسن الحال في الدنيا وطيب العيش وجميل الاحدوثه
وقله الاعداء وكثره المداح والراغبين في مودته
مع الفضل الخاصه فاذا تجاوز هذه الدرجه وبلغ امامه
الى ان يفهم اغراض الناس وعواقب الامور فهم ان
الغرض الاخير من هذه الاشياء التي يقصدها الناس
ويحرصون عليها من الثروة واقتناء الضياع والعبيد والخيل

والفرش واشباه ذلك انما هو ترفيه للبدن وحفظ
وان يبقى على اعتداله مدة ما ولا يقع في امراض ولا
يفجاه المنيه وان يتهنا بنعمه الله عز وجل ويستعد
لدار البقاء والحياه السرمديه وان اللذات البدنيه
كلها بالحقيقه هي خلاص من الام وراحات مرتعب
فاذا عرف ذلك وتحققه ثم تعوده بالسيره الفاضله
عود الرياضات التي تحرك الحرارة الغريزيه وتحفظ
الصحه وتنفي الكسل وتطرد البلاده وتبعث النشاط
وتذكي النفس من كان مجبولا متمرنا كان هذه الاشياء
التي رسمناها اصعب عليه لكثره من يخدمه ويغوه
وموافقه طبيعه الانسان في اول ما ينشأ هذه اللذات
واجماع جمهور الناس على نيل ما امكنهم منها وطلب ما تعذر عليهم
بغايه جهدهم فاما الفقراء فالامر عليهم اسهل بل هم قريبون

الى الفضايل قادرون عليها ممكنون من سلوكها وبراءة منها
وحال المتوسطين من الناس متوسط بين هاتين الحالين
وقد كان من دأب الفرس الفضلاء لا يربّون اولادهم
بين خواصهم وحشمهم خوفا عليه من الاحوال التي ذكرتها
وكانوا يبعثونهم مع ثقاتهم الى النواحي البعيدة منهم
ومن سماع ما حذرت عنه وكان يتولى ويتهم اهل الجفاء
وخشونة العيش ومن لا يعرف النعم ولا الثقة والخبازيم
في ذلك مشهورة وكثير من آثار القديم في زماننا هذا
يفعلون اولادهم عندما ينشؤن الى بلادهم ليتعودوا
بها هذه الاخلاق ويبعدوا عن القبيح وعادات اهل البلاد
الرديّة واذ قد عرفت هذه الطرق المحمودة في تاديب الاحداث
فقد عرفت اضدادها اعني من نشأ على خلاف هذه المذاهب
والتاديب لم يرح فلاحه ولا ينبغي لمن يستهل بصلاحه وتقويمه

فانه قد صار بمنزلة الحشي الوحشي الذي لا يطمع في
رياضته فان نفس الغافل بصيرة حادة لنفسه البهيمية
ولنفسه الغضبية فمتى منعتها في ابتداء النشوات
وكالاسبل الى رياضة سباع البهائم حشيته التي
لا تقبل التاديب كذلك الاسبل الى رياضة من نشأ
على غير هذه الطريقة واعتادها وامعن قليلا في السن
اللهم الا ان يكون في جميع احواله عالما بقبح سيرته
دائما لها عائبا على نفسه عازما على الاقلاع وتراه به
فان مثل هذا الانسان قد يرجع عن اخلاقه
بالتدريج والرجوع الى الطريقة المحمودة التوبة ومصاحبة
الاخيار واهل الحكمة وبالابلغ التفلسف
واذ قد ذكرنا الكلي المحمود وما ينبغي ان يعتمد عليه في احداث
الصبيان فنحن واصفون جميع القوى التي يحدث للحيوان اولا

الى ان ينتهى الى اقصى الكمال الانسانى فانك شاهد الحاجة
الى معرفة ذلك ليستدل على البرهان الطبعى فى تقويم
واحد واحد منها بقول ان الاجسام الطبيعية كلها تشترك
فى الحد الذى يسمها ثم تفاضل بقبول الآثار الشريفة
والصور التى يحدث فيها فان الجماد منها اذا قبل فيها صوره
مقبوله عند الناس صار بها افضل من الطينة التى لا تقبل
التى لا تقبل تلك الصوره فاذا بلغ الى ان يقبل صوره النبات
صار بزيادة هذه الصوره افضل من الجماد وتلك الزياده
هى الاغتذاء والنمو والامتداد فى الاقطار والجذب
ما يوافقه من الارض والماء وترك ما لا يوافقه ونقص
الفضول التى يتولد فيه من غذائه عن جسمه بالصموغ
وهذه هى الاشياء التى تفصل بها النبات من الجماد وهى
حاله زائده على الجسميه التى حددناها وكانت حاصله

فى الجماد وهذه الحال الزائده فى النبات الى شرفها
على الجماد تفاضل وذلك ان بعضها يقارب الجماد
مقاربة يسيره كالمرجان واشباهه ثم تتدرج فيها
فتحصل من هذه الزياده شئ فبعضها ينبت
من غير بذر ولا يحفظ نوعه بالثمر ويكفيه فى جلوبه
امتزاج العناصر وهبوب الرياح وطلوع الشمس
فلذلك هو فى اقرب الجمادات وقرب الحال منها ثم تزداد
هذه الفضيله فى النبات فيفضل بعضه على بعض
بنظام وترتيب حتى يظهر فى ذلك قوه الاثمار وحفظ النوع
بالبذر الذى يخلفه مثله فتصير هذه الحال زايده فيه
ومميزه له عما قبله ثم تقوى هذه الفضله فيه حتى
يصير فضل الثالث على الثانى كفضل الثانى على الاول
ولا يزال يشرف فى بعض على بعض حتى يبلغ

الى افقه وبصيرة فى افق الحيوان وهى كرام الشجر كالنخل والزيتون
والرمان والكرم واصناف كثيرة من الفواكه الا انها
بعد مخالطة القوى اعنى ان قوى ذكورها وانا ثها
مخلطتان غير تميزتين وهذه تحمل وتولد المثل ولم
تبلغ غايه افقها التى تتصل بافق الحيوان فلم تحتمل زيادة
وذلك انها ان قبلت زيادة بسيرة صارت حيوانا وخرجت
عن افق النبات فحينئذ تتميز قواها وتحصل فيها ذكورة
وانا ثة وتقبل فضائل الحيوان صورا تتميز بها عن سائر
النبات والشجر كالنخل الذى هو طالع افق الحيوان
بالخواص العشر المذكورة فى مواضعها ولم يبق بينه وبين الحيوان
الا مرتبة واحدة وهى الانفصال من الارض والسعى الى الغذاء
وقد سعى فى الجملة بما هو كالاسان او كالمزاولة لهذا المعنى
وهو قوله صلى الله عليه اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت

من بقية طين آدم فاذا تحرك النبات وانقلع عن افقه
وسعى الى غذائه ولم يفد فى هو وضعه الى ان يصير الى
غذائه وكونت له آلات اخر يتناول بها غذاءه التى
بكماله فصار حيوانا وهذه الآلات تزايد فى الحيوان
من اول افقه وتتفاضل فيه فيشرف بعضها على بعض
كما كان ذلك فى النبات فلا يزال ذلك يتفضل بعد فضل
حتى يظهر فيها قوة الشعور باللذة والاذى فيلتذ بوصوله
الى منافعه ويتالم بوصول مضاده اليه ثم يتفضل الهام الله عز وجل
اياه فيهتدى الى مصالحه ويطلبها والى اضدادها فيهرب منها
وما كان من الحيوان فى اول افق النبات فانه لا يتزاوج
ولا يخلف المثل بل يتولد فقط كالديدان والذبان
واصناف الحشرات الخسيسة ثم تتزايد فيها قبول الفضل
كما كان ذلك فى النبات حتى آثم يحدث فيه قوة العقل التى

تنهض الى دفع ما يؤذيها فيعطى من السلاح بحسب قوتها
وما يطن استعماله فان كانت قوة الغضبية شديدة
كان سلاحه قويا تاما وان كانت ناقصة كان ناقصا
وان كانت ضعيفة جدا لم يعط سلاحا البتة بل يعطى
آلة الهرب كشدة العدو والقدرة على الحيل الى
تنحيه من محل وقد وانت ترى ذلك عيانا من الحيوانات
التى اعطيت القرون التى لها تجرى مجرى الرماح والتى
يعطى الانياب والمخالب التى لها تجرى مجرى السكاكين
والخناجر والتى اعطيت آلة الرعى التى تجرى له مجرى
النبل والنشاب والتى اعطيت الحوافر التى تجرى لها
مجرى البوس والطبرزين فلما ما لم يعط سلاحا لضعفه
عن استعماله فلقلة شجاعته ونقصان قوة الغضبية
ولانه لو اعطيته لعاد كلا عليه فقد اعطى الة الهرب والحيل

بجودة العدو والخفة والحيل والمراوغة
كالارانب والثعالب وما اشبهها واذا تصفحت
احوال الموجودات والسباع والوحش والطير
رايت هذه الحكمة مستمرة فتبارك الله احسن الخالقين
هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين
الحمد لله رب العالمين ٥ فاما الانسان فقد عوض
من هذه الالات كلها بان هدى الى استعمالها كلها
وسخرت هذه له كلها وسنتكلم فى حلك فى موضعه
فاما اسباب هذه الاشياء والسكول التى تعرض فى
قصد بعضها بعضا بالتلف وانواع الالم وبراذى
فليس يليق بهذا الموضع وسنذكرها ان اخر الله فى الاجل
عند بلوغنا الى الموضع الخاص به ونعود الى ذكر
مراتب الحيوان فنقول ان ما اهتدى منها الى ازدواج

وطلب النسل وحفظ الولد وتهيئته وايراسفاق عليه
بالكن والعش واللباس كما نشاهد فيما يلد ويبيض
وتغذيته اما باللبن واما بتنقل الغذاء اليه فانه
افضل مما لا يهتدي الى شيء منها ثم لا يزال هذه الاحوال
تتزايد في الحيوان حتى يقرب من افق الانسان
فحينئذ يقبل التاديب ويصير بقوله للادب ذا فضيلة
يتميز بها من سائر الحيوانات الاخر ثم تتزايد هذه
الفضيلة في الحيوانات حتى يشرف بها ضرب من الشرف
كالفرس المؤدب والباز المعلم ثم تصير هذه
المرتبة الى مرتبة الحيوان الذي يحاكي الانسان
من يلقنه نفسه ويتشبه به من غير تعليم كالقردة
وما اشبهها وتبلغ حد ذكائها الى ان تكفي في التاديب
بان يرى الانسان يعمل عملا فيعمل مثله من غير ان يخرج

الانسان الى تعبه وريا ضته لها وهذه غاية الافق
التي ان تجاوزها وتقبل زيادة يسيرة خرج بها عن افقه
وصار في افق الانسان الذي يقبل العقل والتمييز
والنطق والادب والالات التي يستعملها والصور
التي يلائمها فاذا بلغ هذه المرتبة تحرك الى المعارف
واشتاق الى العلوم وحدثت له قوى وملكات
وخواص من الله عز وجل يقتدر بها على التي في الاعلى
في هذه المرتبة كما كان ذلك في المراتب الاخر التي ذكرناها
واول هذه المراتب في افق الانساني المتصل باخر ذلك
الافق الحيواني مراتب الناس الذين يسكنون في اواصي المعمور
من الشمال والجنوب كالواخر التي من بلاد ياجوج وماجوج
والواخر الزنج واشباههم من الامم التي لا يميز عن القرود
الا بمرتبة يسيرة ثم تزايد فيهم قوة التمييز والفهم الى ان يصيروا

الى وسط الاقاليم فحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم
وتميل الى الفضائل والى هذا الموضع ينتهي فعل الطبيعة
التي وكلها الله عز وجل الموجودات المحسوسات
ثم يستعد بهذا القبول لاكساب الفضائل واقتنا
الآداب الارادة والسعي والاجتهاد الذي ذكرناه
فيما تقدم حتى يصل الى آخر افقه اتصل اول افق الملائكة
وهذا على مرتبة الانسان وعندها تنتهي الموجودات
ويتصل اولها بآخرها وآخرها باولها وهو الذي
يسمى دايرة الوجود لان الدايرة هي التي قيل في حدها
انها خط واحد يسلي الحركة نقطة وينتهي اليها بعينها
ودايرة الوجود هي المناسبة التي جعلت الكثرة وحدة
وهي التي تدل دلالة صادقة برهانية على وحدانية
موجدها وحكمته وقدرته وجوده تبارك اسمه وتعالى جده

ولولا ان شرح هذا لا يليق بصناعة تهذيب الاخلاق
لشرحته وانت تقف عليه ان بلغت هذه الرتبة
بمشية الله واذا تصورت قدرها او دانا اليه
وفهمته اطلعت على اكماله الى خلقت لها وتبينت انها
وعرفت الافق الذي تتصل انت فيه وسلكت من مرتبة
الى مرتبة ودرت كوكبا طبقا عن طبق وجعلت لك
الايمان الصحيحة وشهدت على غائب عن غيرك من البهائم
وبلغت الى ان تتدرج الى العلوم الشريفة المكتوبة
التي مبدأها علم المنطق فانه آلة في تقويم الفهم والعقل
الغريزي ثم الوصول به الى معرفة الكلام الوسط بينهما
ثم التعلق بها والتوسع فيها والتوصل منها الى العلوم الالهية
وحينئذ تستعد بقبول مواهب الله تعالى وعطاياه
ويأتيك الفيض الالهي فتسكن عن فلك الطبيعة

وحركاتها نحو الشهوات الحيوانية ولحظ المراتب
التي ترقيت فيها اولا اولا من مراتب الموجودات
وعلمت ان كل مرتبة منها محتاجة الى ما قبلها في وجودها
وعلمت ان الانسان لا يتم له كماله الا بعد ان
يحصل له ما قبله ولانه اذا حصل انسانا كاملا
وبلغ غايه افقه اشرق نور الافق الاعلى عليه وصار
اعلم بما تاتيه الالهامات فيما يتصرف فيه من المحاولات
الحكميه والتاييدات العلويه في التصورات العقليه
واما نبيا موحيا اتته الوحي على ضروب المنازل التي
يكون عبدا لله عز وجل فيصير عنده واسطه بين الملا الاعلى
والملا الاسفل وحلك تصور حال الموجودات كلها
والحال التي تنقل اليها حال الانسيه ومطالعه الافاق
التي ذكرناها وحينئذ نفهم ما اراد الله عز وجل وقوله فلا تعلم نفس

ما اخفي لهم من قرة اعين ونصور معنى قول رسول الله صلعم
هناك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
فاذا بلغ بنا الكلام الى ذكر هذه المنزله العاليه الشريفه
الى اهل الانسان لها ونسقنا احواله التي يتوفى فيها
وانه يكون اما بالشوق الى المعارف والعلوم فينبغي
ان نريد في بيانه وشرحه فنقول ان هذا السوق
ربما ساق الانسان على منهاج قويم وقصد صحيح حتى تنامى
الى غايه كماله وهي سعادته التامه وقل ما يتفق ذلك
وربما عوج به عن السمت والسنن لاسباب كثيره
يطول شرحها والحاجه بك الى علمها الا وانت
في بهذب خلقك فكما ان الطبيعه المدبره للاجسام
ربما سوقت الى ما ليس بتمام للحكم الطبيعي لعلل تحدث
به وآفات تطرا عليه بمنزله من يساق الى اكل الطين

وما جرى مجراه مما لا يكمل طبيعة الجسد بل يهدمه ويفسده
كذلك ايضا النفس الناطقة ربما اشتاقت الى النظر
والتمس الذي لا يكمله ولا يسوقه نحو سعادته بل يحركه
الى الاشياء التي يعوقه ويقصره عن كماله فتحتاج
تحاج الى علاج نفساني يرد حاني كما احتاج في احواله الاولى
الى طب طبيعي جسماني وكذلك كثير من حاجات الناس
الى المقومين والمثقفين الى المودبين والمسددين
فان وجود تلك الطبائع الفائقة التي تساوي اياها عسر
توقف على السعادة عسر الوجود لا توجد الا في
الازمنة الطوال والمدد البعيدة وهذا الادب الحق
الذي يؤدينا الى غايتها يجب ان نلحظ فيها المبدا الذي
بحري مجرى الغاية حتى اذا لحظت الغاية تدرجت منها
الى الامور الطبيعية على طريق التحليل ثم ابتدي من اسفل

على طريق التركيب فسلك فيها الى ان ينتهي الى الغاية
لحظت اولا وهذا هو المعنى الذي احوجنا في ابتداء
هذا الكتاب وفي فصول اخر منه ان نذكر اشياء
عالية لا تليق بهذه الصناعة ليشوق النهار يستقبلها
وليس يمكن للانسان ان يشتاق الى ما لا يعرفه البتة
فاذا لحظ الانسان من فيه قبول لها وغايته بها عرفها بعض المعرفة
فيشوقها وسعى نحوها واحتمل التعب والنصب فيها
وينبغي ان يعلم ان كل انسان معد نحو فضيلة ما فهو اليها
اقرب طريق الوصول اليها احرى ولذلك ما يصير سعادة
الواحد من الناس غير سعادة الاخر الا من اتفق له
نفس صافية وطبيعة فائقة فينتهي الى غايات الامور
والى غايته غايتها اعني السعادة القصوى التي السعادة
بعدها واجل ذلك يجب على مدبر المدن ان يسوق

كل انسان نحو سعادته التي تخصه ثم يقسم غايته
بالتأمل ونظر لهم يقسمن احدها في تسديد الناس
ويقومهم بالعلوم الفكرية والاخرى في تسديدهم
نحو الصناعات والاعمال الحسنة فاذا سددهم
نحو السعادة الفكرية بدأ بهم نحو الغاية الاخيرة
على طريق التحليل ووقف بهم عند القوى التي ذكرناها
واذا سددهم نحو السعادة العلمية بدأ بهم من عند
هذه القوى وانتهى بهم الى تلك الغايات ولما كان
غرضنا في هذا الكتاب السعادة الحاقية وان نصدر
الافعال عنها كلها جملة كما رسمناه في صدر الكتاب
وعلمناه لمحى الحكمة خاصة للعوام وكان النظر
يقدم العمل وجب ان نذكر الخير المطلق والسعادة الانسانية
ليلحظ الغاية الاخيرة ثم نطلب الافعال الارادية

التي ذكرناها جملها في المقالة الاولى من ارسطوطالس
انا نبدأ كتابنا هذا الموضع وافتتحه بذكر الخير المطلق
وافتتحه بذكر الخير المطلق ليعرف ويشوق
ونحرك كل ما قاله ونتبعه باخباره الصناعة في مواضع اخر
ليجتمع لنا ما فرقه ونضيف الى ذلك اخباره عن
مفسري كتبه والمتقلين لحكمته نحو استطاعتنا ربنا يوفقنا
والله الموفق والمؤيد فان الخير كله بيده وهو حسبنا ونعم

المقالة الثالثة بعون الله تعالى

في هذه المقالة بذكر الفرق بين الخير والسعادة بعد
ان نذكر الفاظ ارسطوطالس ثم نقدر به ونوفيه حقه
فنقول ان الخير على ما حده واستحسنه جميع الآراء
المتقدمين هو المقصود من الكل وهو الغاية الاخيرة
وقد يسمى الشيء النافع في هذه الغاية خيرا فاما السعادة

فهو الخير بالاضافة الى صاحبها وهي كمال له وهو السعادة
اذ كل خير ما وقد يكون سعادة الانسان غير سعادة الفرس
وسعادة كل شيء في تمامه وكماله الذي يخصه واما الخير الذي
يقصده الكل بالشوق في طبعه يقصد وهاذات
وهو الخير العام للناس من حيث هم ناس فهم بجمعهم
مشتركون فيها واما السعادة فهي خير ما لواحد واحد
من الناس فهي اخص بالاضافة وليس لها ذات بعينه
وهي الاضافة الى قاصدها فلذلك يكون الخير المطلق
غير مختلف فيه وقد يظن ان السعادة تكون لغير الناطق
فان كان لك فانما هي استعدادات فيها القبول تماما ما
وكمالها عن غير قصد ولا روية ولا ارادة فلك
الاستعدادات هي الشوق وما يجري مجرى الشوق
من الناطق بلا ارادة فاما ما يتاتى للحيوانات في

ماكلها ومشاربها وراحاتها فينبغي ان نسميها
اوانفاقا ولا يوهل لاسم السعادة كما يسمى الانسان
ايضا وانما استحسن ذلك الحد الذي ذكرناه للخير
المطلق لان العقل لا يطلق السعي والحركة الا
الى غاية وهذا اول العقل ومثال ذلك
ان الصناعات والهمم والتدابير اختيارية كلها
يقصد بها خيرا ما وكل ما يقصد به خيرا فهو غاية
والعقل يخطط ومنع منه فالواجب صار الخير المطلق
هو المقصود اليه من كل الناس ولكن ينبغي ان نعلم
ما هو وما الغاية من الخير منه الذي هو غاية الخيرات
التي يرتقي الحيوانات كلها اليها حتى يجعل ذلك الخير
غرضنا ونتوجه اليه ولا ننتشر افكارنا في الخيرات
الكثيرة التي يؤدي اليه اما تاديه بعيدة واما تاديه قريبة

ولا تغلط ايضا فما ليس بخير فظنه خيرا وفي اعمالنا
في طلبه والتعبه وكل سنبين بمشيه الله تعالى
اقسام الخير الخير على ما قسمه ارسطوطاليس
وحكاه عنه فرفوريوس وعيسى هكذا قال الخيرات منها
ما هي شريفه ومنها ما هي ممدوحه ومنها ما هي بالقوه
كذلك ومنها ما هي نافعه فمنها فالشريفه منها هي التي
شرفها من ذاتها ويجعل من اقسامها ايضا شريفا
وهي الحكمه والعقل والممدوحه مثل الفضايل
وافعال الجمله الارادية التي هي بالقوه مثل
التهيو والاستعداد لنيل الاسباب التي تقدمت
والنافعه هي جميع الاشياء التي تطلب لا لذاتها
بل ليوصل بها الى الخيرات وعلى جهه اخرى الخيرات
منها ما هي غايات ومنها ما ليست غايات والغايات

منها ما هي تامه ومنها ما هي غير تامه فالتي هي تامه
كالسعاده وذلك انا انا اذا وصلنا اليها لم نحتج
ان نسترهد اليها شيا آخر والتي هي غير تامه فانا نصح
واليسار من فعل انا اذا وصلنا اليها احتجنا
ان نسترهد فمقتنى سيا آخر واما التي ليست غايات
البته بمنزله العلاج والتعلم والرياضه وعلى جهه
اخرى الخيرات منها ما هو مؤثر لاجل ذاته ومنها
ما هو مؤثر لاجل غيره ومنها ما يؤثر للامرين جميعا
وعلى جهه اخرى الخيرات منها ما هو خير على الاطلاق
ومنها ما هو خير عند الضرورة وبرايها ما التي
تنفع لبعض الناس وفي وقت دون وقت وايضا
منها ما هو خير لجميع الناس ومن جميع الوجوه وفي جميع
الاوقات ومنها ما ليس بخير لجميع الناس ولا من جميع الوجوه

وعلى جهة اخرى الخيرات ما هو في الجوهر ومنها
ما هو في الكمية ومنها ما هو في الكيفية وفي سايير
المقولات منها كالهوى والملكات ومنها كالاحوال
ومنها كالافعال ومنها كالانفعالات ومنها كالمواد
ومنها كالآلات وعلى جهة اخرى الخيرات منها
معقولات ومنها محسوسات ووجود الخير
في المعقولات كلها كمون على هذا المثال فاما
في الجواهر اعني ما ليس بعرض فالله تعالى وتقدس
هو الخير الاول فان جميع الاشياء تحرك نحوه بالسوق اليه
والان تنال الخيرات الالهية بهر البقاء والسرمدية
والتمام منه واما في الكمية فالعدد المعتدل والمقدار
المعتدل واما في الكيفية فكالملذات واما بالاضافة
فكالصناعات والرياسات واما في الاين ومتى

فكالمكان المعتدل والزمان الانسب المهيأ واما
في الوضع فكالمعهود والاضطجاع وبالجملة الموافق
واما في الملكة فكالاحوال والمناقب واما في ان يفعل
فكالسماع الطيب وسايير المحسوسات الملذة
واما في الفعل فمثل نفاذ الامر ورواج الفعل
وعلى جهة اخرى الخيرات منها معقولات ومنها
محسوسات فاما السعادة فقد قلنا انها خير ما
وهي تمام الخيرات وغايتها والتمام هو الذي اذا ابلغنا
اليه لم نحتج معه الى شيء آخر فلذلك نقول ان السعادة
هي افضل الخيرات ولكنا نحتاج في هذا التمام الذي هو
الغاية القصوى الى سعادات اخر وهي التي في البدن
والتي خارج البدن وارسطوطاليس يقول انه يعسر
على انسان ان يفعل الافعال الشريفة بلا مادة

مثل اتساع اليد وكل الاصدقاء وجوده البخت
قال ولهذا ما احتاجت الحكمة الى صناعة الملك في
اظهار شرفها قال ولهذا قلنا ان كل شئ عطية
من الله تعالى وهو هبة للناس منه عز اسمه
في شرف منازل الخيرات وفي اعلى مراتبها وفي
خاصة الانسان التام ولذلك الانسان كما فهمنا من
ليس تام كالصبيان ومن جرى مجراهم فهذه اقسام
الخيرات واما اقسام السعادة على مذهب
هذا الحكيم فهي خمسة اقسام احدها في صحة البدن
ولطف الحواس ويكون ذلك عن اعتدال المزاج اعني
ان يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق واللمس
والثاني في الشكل والاعوان واشباهها حتى تتسع
لان يضع المال في موضعه ويعمل به سائر الخيرات

ويوامي منه اهل الخير خاصة والمستحسن امة
ويعمل به كلما يزيد في فضايله ويستحق الثناء والمدح عليه
والثالث ان يحسن احدوثته في الناس وينشر في كل
من اهل الفضل فيكون محمودا عندهم يكثرون الثناء عليه
لما تصرف فيه من الاحسان والمعروف والرابع
ان يكون منجحا في الامور وذلك اذا استتم كل ما روى فيه
وعزم عليه حتى يصير الى ما باطله منه والخامس
ان يكون جيد الراى صحيح الفكر سليم الاعتقادات
في دينه وغير دينه بريا من الخطا والزلل جيد المشورة
في الآراء فمن اجتمعت هذه الاقسام كلها فهو السعيد
الكامل على مذهب هذا الرجل الفاضل ومن حصل له
بعضها كان حظه من السعادات بحسب ذلك
واما الذين كانوا قبل هذا الرجل الفاضل مثل اثاغورس

وسقراط وافلاطن واشباههم فانهم اجمعوا على
ان الفضايل والسعادة كلها في النفس وحدها وذلك
لما سموا السعادة جعلوها كلها في قوى النفس التي
ذكرناها في اول الكتاب وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة
واجمعوا على ان هذه الفضايل هي كافية في السعادة
والحاجة منها الى غيرها من فضايل البدن ولا ما هو
خارج البدن فان الانسان اذا حصل له تلك الفضايل
لم يضر في سعادته ان يكون سقيما ناقص الاعضاء
مبتلى بجميع امراض البدن اللهم الا ان يلحق النفس منها
مضرة في خاص افعالها مثل فساد العقل وزوال
الذهن وما اشبههما فاما الفقر والخمول وسقوط
الجاه وساير الاشياء الخارجة عنها فليست عندهم بقادحة
في السعادة البتة فاما الرواقيون وجماعة من الطبيعيين

فانهم جعلوا البدن جزأ من الانسان ولم يجعلوه آلة
كما شرحناه فيما تقدم فلذلك اضطروا الى ان يجعلوا
السعادة التي في النفس غير كاملة اذا لم يقترن بها
سعادة البدن وما هو خارج البدن ايضا اعني
الاشياء التي تكون نالحت والجد والمحتقول
والقدماء الفلاسفة يحقرون امر النحت وكل ما
يكون به وضعه تلك الاشياء لاسم
السعادة لان السعادة شيء ثابت غير زايل ولا متغير
وهي اشرف الامور واكرمها وارفعها فلا يحاول
لاخس الاشياء وهو الذي يتغير ولا يثبت ولا
يتحصل بدوية ولا فكر ولا ثباتي له بعقل
وفضيلة فيها نصيب ولهذا النظر اختلف القدماء
في السعادة العظمى فظن قوم انها لا تحصل للانسان

السعادة العظمى

الّا بعد مفارقة البدن والطبعيّات كلّها
وهؤلاء هم القوم الذين حكينا عنهم ان السّعادة
العظمى انّما هي في النفس وحدها وسمّوا الانسان
ذلك الجوهر وحده دون البدن ولذلك حكموا
انها ما دامت متّصلة بالطّبيعة وكدرها ونجاسات
البدن وضروراته وحاجات الانسان وافتقاراته
الى الاشياء الكثيرة فليست سعيدة على الاطلاق وايضا
لما راوها لا يمكن لوجود شيء من العقليّة لانها ليست
عنها بظلمة الهيولى اعني قصورها ونقصانها ظنّوا
انها اذا فارقت هذه الكدورة فارقت الجهالات
وصفت وخلصت وقبلت اضاءة والنّور الالهيّ
اعني العقل التامّ وجب على رأي هؤلاء ان يكون
الانسان لم يسعد السعادة التامّة الا بعد موته

فاما ما دام انسانا فليست له سعادة تامّة واما
الفرقة الاخرى فانها قالت انه من القبيح الشنيع ان يظنّ
ان الانسان ما دام حيّا يعمل الاعمال الصالحة ويعتقد
الآراء الصّحيحة ويسعى في تحصيل الفضائل كلّها انفسه
اولا ثم لابنا جنسه ويخلّف بها الغرض تعالى ذكره
في خلقه هذه الافعال المرضيّة فهو شقيّ ناقص
حتى اذا مات وعدم هذه الاشياء صار سعيدا
تامّ السعادة وارسطوطاليس يحقّق هذا الرأي
وذلك انه انما تكلّم في السعادة الانسانيّة والانسان
هو المركّب عنده من بدن ونفس ولذلك حدّ الانسان
بالناطق المائت وبالناطق الماشي رجلين المنتصب القامة
وما اشبه ذلك وهذه الفرقة هي التي يتبعها ارسطوطاليس
يقول ان السعادة الانسانيّة يحصل للانسان في الدّنيا

اذا سعى لها وتعب فيها حتى يصير الى اقصاها
وما راى الحكيم ذلك وان الناس مخلوقون في هذه
السعادة الانسانية وانها قد اشكلت عليهم اشكالا
شديدا احتاج ان يتعب في ابانة هذا واتى
باطالة الكلام فيها وذلك ان الفقير يرى السعادة
العظمى في الثروة واليسار والمريض يرى انها في الصحة
والسلامة والذليل يرى انها في النجاة والسلطان
والحليع يرى انها في التمكن من الشهوات كلها على اختلافها
والعاشق يرى انها في النظر الى المعشوق والفاضل
يرى انها في افاضته المعروف والفيلسوف يرى
ان هذه كلها اذا كانت مرتبة بحسب تقسيط
العمل اعني عمل الحاجة وفي الوقت الذي يجب او كما يجب
فهي كلها سعادات وما كان منها يراد لشيء اخر

فذلك الشيء احق باسم السعادة ولما كان كل واحد
من هاتين الفرقتين نظر اما وجب ان يحول
في ذلك ما نراه صوابا وجامعا للرأيين فنقول ان الانسان
ذو فضيلة روحانية يناسب بها الارواح الطيبة
التي تسمى ملائكة وذو فضيلة جسمانية يناسب بها
الانعام مقيم في هذا العالم الجسماني السفلي من غير
ليعمره وينظمه ويزينه حتى اذا ظفر بهذه المرتبة
على الكمال انتقل الى العالم العلوي واقام به دائما
سعيدا في صحبة الملائكة وبين الارواح الطيبة وينبغي ان
يفهم من قولنا العالم السفلي والعالم العلوي ما ذكرناه
فيما تقدم فانا قد قلنا هناك انا لسنا نعني بالعلوي
المكان الاعلى في الحس ولا بالعالم السفلي المكان الاسفل
في الحس بل كل محسوس فهو اسفل وان كان محسوسا

طلب العالم العلوي والعالم السفلي

في الكمال الاعلى وكل معقول فهو اعلى وان كان معقولا
في الكمال الاسفل وينبغي ان تعلم انه ليس يحتاج في
صحة هذه الاقوال الطبيعيه اعني المستغنيه عن الابدان
الى شيء من السعادات البدنيه التي ذكرناها سوى
سعاده النفس فقط اعني المعقولات الابديه التي للحقيقه
الحكمه فقط واما ما دام الانسان انسانا فليس تتم
السعاده الا بتحصيل الحالين جميعا وليس تحصلان
على التمام الا بالاسباب النافعه في الوصول الى الحكمه الابديه
فالسعيد اذن من الناس يكون في احدى مرتبتين اما في
مرتبه الاسباب الجسمانيه متعلقا باحوالها السفلى
سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الامور الشريفه
بالجزء الذي منها الهاما متحركا نحوها مغتبطا بها
واما ان يكون في مرتبه الاشياء الروحانيه متعلقا

باحوالها العليا سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع ما دون
معتبرا بها ناظرا في علامات العنايه الالهيه ودلايل
الحكمه البالغه مقتديا بها ناظما لها مفيضا للخيرات على ما
سابقا لها نحو الافضل فالافضل بحسب قبولها
وعلى نحو استطاعتها واي امر هام يحصل في احدى هاتين
المنزلتين هو في رتبه الانعام بل هو اضل واما عاد
اضل لان لك غير معرض لهذه الخيرات ولا
اعطيت استطاعه تحركها نحو هذه المراتب العاليه
واما المحرك بقوتها نحو الافعال الخاصه بها والانسان
معرض لها مندوب الى مزاحمه العله فيها وهو مع ذلك
غير محصل لها ولا سارع نحوها وهو مع ذلك هو مزاحم لضدها
يستعمل قواه الشريفه في الامور الدنيه ولك محصله
لكمالاتها التي تخصها فاذن الانعام اذا منعت الخيرات

الانسيه وحرمت جوار الارواح الطيبه ودخول الجنه
التي وعد المتقون فهي معدون والانسان غير مخلود
مثل مثل الاول مثل الاعمى اذا انحرف عن الطريق
فتردى في بير فهو مرحوم غير ملوم ومثل الثاني مثل
بصير عدل عن الطريق على بصيرة حتى تردى في بير
فهو ملوم غير مرحوم واذ قد تبين ان السعد لا محاله
في احدى المرتبتين الليتين ذكرناهما فقد تبين ايضا ان احدهما
ناقص مقصر عن الاخر وان الاقص منهما ليس يخلو
ولا يتعرا عن الالام والحسرات لاجل الخدع الطبيعيه
والزخارف الحسيه التي تعترضه فيما يلابسه ويعوقه
عما يلاحظه ويمنعه من الترقي فيها على ما ينبغي ويشغله
بما يعلوه من الامور الجسمانيه فصاحب هذه المرتبه
غير كامل على الاطلاق والسعيد تام وان صاحب المرتبه الاخرى

هو السعيد التام وهو الذي توفر حظه من الحكمة
فهو متمم بوحدانيته بمن الملا الاعلى نسبة منهم
لطايف الحكمه ويستنير بالنور الالهي ويستريح
برضا الله بحسب عنايته بها وعلمه عوالمه عنها
ولذلك يكون خاليا من الامور والحسرات التي لاصحاب
صاحب المرتبه الاولى منهما ويكون مسرورا ابدا بذاته
مغتبطا وبما يحصل له دايما من فيض نور الاول
وليس يتسر الا بسلك اللذات ولا يغتبط الا بسلك المحاسن
ولا يمشي الا لاظهار هذه الحكمه من اهلها ولا يباح
الا لمن بسببه او قاربه او احب الاقتباس منه وهذه
هي المرتبه التي من وصل اليها فقد وصل الى آخر السعادات
واقصاها وهو الذي لا يبالي بغم او حساب من اهل الدنيا
ولا يتحسر على ما يفوته من التنعم بها وهو الذي يرى حسنه وماله

وجمع خيرات الدنيا التي عددناها في السعادات
الى عددناها في هذه والخارجة عنها كلها كلا اعلمه
الا في الضروريات محتاج اليها البدن الذي هو
مربوط به ولا يستطيع الانحلال عنه الا عند
مشيته خالقه تبارك وتعالى وهو الذي يشاء
الصحة امساكه وملائمات من مناسبة من الروح الطيبة
والملائكة المقربين وهو الذي لا يفعل الا ما اراده الله منه
ولا يختار الا ما قرب اليه والمخالفة الى شيء من هواه
وشهواته الردية ولا يخدع بخدائع الطبيعة
ولا يلتفت الى شيء يعوقه عن سعادته وهو الذي
لا يحزن على فقد محبوب ولا يتحسر على فوت مطلوب
الا ان هذه الرتبة الاخيرة تتفاوت الناس فيها
تفاوتا عظيما اعني من وصل الى ما من الناس يكون على

طبقات كثيرة غير متقاربة وهاتان المرتبتان هما
اللتان يساق اليهما كلامه واختيار المرتبة الخيرة منهما
وذلك في كتابه المسمى فضائل النفس وانا اورد الفاظه
التي ننقلها الى العربية بعينها قال اول رتبة الفضائل
التي تسمى سعادة ان يصرف الانسان ارادته ومحاولاته
الى مصالحه في العالم المحسوس من امور النفس والبدن
وما كان من الاحوال متصلا بذلك ومشاركا له من الامور
النفسانية ويكون تصرفه في هذه الاحوال المحسوسة تصرفا
لا يخرج به عن الاعتدال الملائم لاحواله الحسنة
وهذا حال قد يتلبس فيها الانسان بالاهواء والشهوات
الا ان ذلك بقدر معتدل غير مفرط وهو الى ما ينبغي
اقرب منه الى ما لا ينبغي وذلك انه يجري امر نحو صوان البدن
والمتوسط في الفضيلة وما لا يخرج به عن تقدير الفكر

وان لابس الامور المحسوسه وتصرف فيها هم المرتبه
الثانيه وهي التي تصرف الانسان فيها ارادته ومحاولاته
الى الامر الافضل من صلاح امر النفس والبدن من غير
ان يلتبس مع ذلك بشيء من الاهوا والشهوات ولم يكترث
بشيء من اليقينيات المحسوسه الا بما تدعوه اليه الضروره
ثم تزايد رتبه الانسان في هذا الضرب من الفضيله
وذلك لان الاماكن والرتب في هذا الضرب من الفضايل
كثيره بعضها فوق بعض وبسبب ذلك اما اولا فاختلاف
طبايع الناس وثانيا على حسب العادات وثالثا
بحسب منازل الناس ومواضعهم من العلم والمعرفه والفهم
ورابعا بحسب همهم وخامسا بحسب شوقهم
ومعاوناتهم ويقال ايضا بحسب جلدهم ثم يكون
النقله من اخر هذه المرتبه اعني هذا الصنف

من العمله الى الفضله الالهيه المحضه
وهي التي لا يكون فيها تشوف الى آلات ولا يلتفت
الى نحو جار ولا تشيع ماض ولا ضن بقرب
ولا خوف ولا فزع من حال ولا شعف بها ولا
طلب لحظ من حظوظ الانسانيه ولا من الخطوط
النفسانيه ايضا ولا ماتدعوه الضروره اليه
من حاجات البدن والقوى الطبعيه ولا القوى
النفسانيه ايضا لكن يتصرف الجزء العقلي في
اعالي رتب الفضايل وهو صرف الوكد الى الامور
الالهيه ومعاناتها ومحاولتها بلا طلب عوض اعني
ان يكون تصرفه فيها ومعاناته ومحاولته لها لنفس ذاتها
فقط وهي الرتبه التي تراها الناس بحسب الهمم
والشوق وفضل المعاناه والمحاوله وقوه النفس

وهو الذي بحسب منزله من بلغ الى هذا المبلغ
من الفضيلة في هذه الاحوال التي عددناها الان
يكون له شبيها بالفعله الاولى واقتداء بها وبافعالها
وآخر المراتب في الفضيلة ان يكون افعال الانسان
كلها افعالا الهيه وهذه الافعال هي خير محض
والفعل اذا كان خيرا محضا فليس يفعله فاعله
من اجل سبب آخر غير الفعل نفسه وذلك ان الخير المحض
غاية ومتوخاة لذاتها اي هو الامر المطلوب لنفسه
المقصود لذاته وبالجمله الذي هو غايه ولاسيما غايه
في غايه النفاسه ليس يكون من اجل سبب آخر فافعال
الانسان اذا صارت كلها الهيه فهي كلها انما تصدر
عن اليه وذاته الحقيقيه التي هي عقله الالهي الذي هو
ذاته بالجمله ويزول وينحل ويموت سايرد واعي

طبائعه البدنيه بسايرعوارض النفس السيئه
وعوارض الحيوان المتولده منها وعن دواعي نفسه
الحسيه فلا يبقى له حينيذ ارادة والهيه خارجه
عن فعله من اجلها يفعل ما يفعل لكنه يتصرف
في فعله غير ذات الفعل وهذا هو سبيل الفعل الالهي
فهذه الحال هي آخر رتبه الفضايل التي يقبل فيها الانسان
افعال المبدا الاول خالق الكل عز وجل اعني ان يكون
فيما يفعله لا يطلبه خطا ولا اجازاه ولا عوضا
ولا زياده ولكن يكون فعله بعينه هو غرضه اي ليس
يفعل من اجل سبب غير ذات الفعل وغير ذاته ونفسه
ومعنى ذاته نفسه هو العقل الالهي نفسه وهكذا
يفعل الباري عز وجل لذاته لا من اجل شيء آخر خارج عنه
وذلك ان فعل الانسان في هذه الحال يكون كما قلنا خيرا محضا

وحكمة مخصصة قصدا بالفعل لنفس اظهار الفعل فقط
لا لغاية اخرى توخاها بالفعل وهكذا فعل الله عز وجل
الخاص به ليس هو على القصد الاول من اجل شيء
خارج عن ذاته اعني انه ليس ذلك لاجل سياسة الاشياء
التي هي خارجة اسبابا وعللا وهذا اشنع قبحا تعالى الله عن
علوا كبيرا ولكن عنايته عز وجل بالاشياء التي هي خارج
وفعله الذي سببها ويرفدها انما هو على القصد الثاني
وليس يفعله من اجل الاشياء انفسها لكن من اجل ذاته
ايضا وذلك لاجل ان ذاته افضل الذوات لا من اجل
المفضل عليه والا من اجل شيء آخر وهكذا سبيل الانسان

اذا بلغ الى الغاية القصوى في الامكان من الاقتداء
بالباري عز وجل يكون افعاله التي يفعلها على القصد الاول
من اجل ذاته نفسها التي هي العقل الالهي ومن
اجل الفعل نفسه ان فعل فعلا يرفد به غيره وينفعه
فليس يفعله على القصد الاول من اجل ذلك الغير
لكن يفعل ذلك الغير ما يفعله به بقصد ثاني
وفعله ذلك من اجل ذاته بالقصد الاول ومن
اجل الفعل نفسه اي لنفس الفضيلة ولنفس الخير
لان فعل ذلك فضيلة وخير وفعله ذلك لنفس
الفعل لا لاجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة
ولا للتباهي وطلب الرياسة ومحبة الكرامة فهذا
هو غرض الفلسفة ومنتهى السعادة الا ان سعادة الانسان
لا تصل الى هذا الكمال حتى يقضي ارادته كلها التي بحسب

الامور الخارجه ونفى العوارض النفسانيه
وكموت خواطره الى كون عن العوارض وتمثلى
شطارا الهيا وهمه الهيه وايما تمثلى مرادك
اخاصفا من الامر الطبعى البته ونقى منها نقارة
كالملائم حتى تمثلى معرفه الهيه وشوقا الهيا
ويوقن الامور الالهيه بايقنها فى نفسه اعنى
فى نفس ذاته التى هى العقل كما تقررت فيه
القضايا الاول التى يسمى العلوم بها اوائل العقليه
الا ان تصور العقل ورويته فى هذه المحال
الامور الالهيه وتيقنه لها بعنى اشرف والطف
واطهر واشد وانكشافا له وبيانا من القضايا
الاول التى يسمى العلوم الاوائل العقليه فهذه
الفاظ هذا الحكيم وقد نقلتها نقلا وهى نقل الاعلم الاتقى

ابو عثمان الدمشقى

وهذا الرجل فصيح باللغتين جميعا اعنى اليونانيه والعربيه
مرضى النقل عند جميع من طالع هاتين اللغتين وهو
مع ذلك شديد التحرى لايراد الالفاظ اليونانيه
ومعانيهم فى الفاظ العرب ومعانيهم حتى لا تخلف
فى لفظ ولا معنى ومن رجع الى هذا الكتاب اعنى
المسمى بفضائل النفس قرأ هذه الالفاظ كما نقلتها
وليس يحصل هذه المراتب التى ترقى فيها صاحب السعادة
التامه الا بعد ان يعلم اجزاء الحكمه كلها علما صحيحا
ويستوفيها اولا اولا كما رتبناها فى كتابنا المسمى ترتيب
ومن ظن من الناس انه يصل اليها بغير ذلك الطريق وعلى
غير ذلك المنهاج فقد ظن ظنا باطلا وبعد عن الحق بعدا كبيرا
وليس نذكر فى هذا الموضع الخطا العظيم الذى وقع فيه قوم
ظنوا انهم يدركون الفضيله بتعطيل القوه العالمة

واهمالها وترك النظر الخاص بالعقل واكتفائهم باعمال
ليست عقلية ولا حسب ما يقتضيه التمييز والعقل
وقد سماهم قوم العامة والناصبة ولذلك رتبنا
هذا الكتاب بعقب ذلك الكتاب ليلحظ منها السعادة
الاخيرة المطلوبة بالحكمة البالغة وتهذب لها النفس
وتتهيأ لقبولها باسهل غسولا وتنقية من الامور الطبيعية
وشهوات الابدان ولذلك سميته ايضا بكتاب طهارة الاعراق
وقد قال ارسطوطاليس في كتابه المسمى بالاخلاق
ان هذا الكتاب لا ينفع به الاحداث كبني منفعة ولا من هو
في طبيعة الاحداث قال ولست اعني بالحدث ها هنا
حدث السن لان الزمان لا تاثير له في هذا المعنى وانما
اعني بالسيرة التي يقصدها اهل الشهوات واللذات
الحسية فاما انا اقول اني لما ذكرت هذه المرتبة اخيرة

من السعادة طمعا في وصول الاحداث اليها بل ليمرنهم
على سيرهم فسط وليعلم ان ها هنا مرتبة حكمية لا يصل اليها
الا اهلها الاعلون مرتبة حسب فليلتمس كل ناظر
في هذا الكتاب المرتبة الاولى منها بالاخلاق التي وصفتها
فان وفق بعد ذلك واعانه الشوق الشديد والحرص التام
وساير ما ذكرناه وحثثناه عن الحكيم فليترق في درجة الحكمة
وليتصاعد فيها بجهده فان الله عز وجل يعينه ويوفقه
فاذا بلغ الانسان الى غاية هذه السعادة ثم فارق بجسمه
الكثيف دنياه الدنية وتجرد بنفسه اللطيفة التي
عنى بتطهيرها وغسولها عن ادناس الطبيعة اجزاه العلية
فعند فاز واعد ذاته للقاء خالقه عز وجل اعدادا روحانيا
ليس فيه نزاع الى تلك القوى التي كانت تعوقه عن سعادته
ولا شوق اليها لانه قد يطهر منها وينزه عنها ولم يبق فيه

ارادته لها ولا حرص عليها وقد استحقها للقارئ العالم
ولقبول كرامته وفضل نوره الذي كان عنه مستعدا له
ولائقا قبول من عطاياه وباتيه حينئذ الذي وعده المقبول
مما سبق الايماء اليه مرارا في قوله عز وجل فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وفي قول النبي عليه السلم
هناك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
واذ قد لخصنا امرهاتين المنزلتين من السعادة القصوى
فقد تبين بيانا كافيا ان احداهما بالاضافة الينا اولى
بالاخرى بانيه ومن المحال ان تسلك الى الثانية من غير
ان تمر بالاولى فقد وجب ان نعود الى ما بدانا به
من ذكر الرتبة الاولى من السعادة باخيرة ولنستوف الكلام فيها
وفي الطريق الذي بيناه الكتاب عليها ونجلي عن بيان الرتبة
الثانية الى وقت اخر ونقول ان من عنى بعض العلوم

٨٠

في ابواب عطاء ولان المفعل يكون في الاخذ وليس
يظهر لذي السعيد الا بابراز فضائله واظهار
حكمته ووضعها كفاية في مواضعها وكذلك
البناء والحاذق والصانع اللطيف والموشقار
المحسن وبالجملة كل صانع حاذق فاضل في صناعته
يسر باظهار فضائله واذاعتها بين اهلها ومستحقيها
وهذا هو معنى الجود وحقيقته الا ان الجود باعلى
الاشياء واكرمها افضل واشرف من الجود بادونها وانقصها
وقد عرض لهذا الجود مع شرفه وعلو مرتبته ضد
ما عرض لذلك الجود الاخرع نوادرته وقلته وذلك
ان صاحب الاموال والقنيات اكثر جدة كلما ينقص ماله
بالانفاق وينشم بالبذل ويغنى ويثرى بالتبذير
فاما صاحب السعادة التامة فان حوالة لا ينقص

بالانعاق بل تريد والتقنى دخاين بالتبديل بل تنمى
وذلك معرضة للآفات الكثيرة من الاعداء والنصوص
وساير المتسلطين وهذه محروسة من كل آفة
لا سبيل للاشرار ولا اعدآء اليها بوجه ولا سبب فقد
ظهرت لك السعيد كيف يكون ومن اين يبتدى
والى اين ينتهى وكيف يكون السرور الحقيقى واللذة
الالهيه وتبين ايضا انها ابديه وتامه والهيه
وان ضدها هو الشقآ لذاته بالضد وعلى العكس
اعنى ان لذاته كلها عرضيه ومنتقله عن طبايعها
الى اضدادها حتى تصير هوله او مكروهة وانها غير الهيه
بل شيطانيه وغير ممدوحه بل هى مذمومه وذلك
بان ننظر فى السعاده هل هى ممدوحه فان ارسطوطاس
يقول ان الاشيآء التى هى فى غايه الفضل لا يوجد لها

مديح لانها افضل وامدح واجل من ان يليق
به مديح وذلك انا قد نسب المستاهلين والاخيار
من الناس الى السعاده وليس يوجد احد من الناس
يمدح السعاده نفسها كما يمدح العدل لكنه يجلها
ويكرمها على انها امر الهى والاشيآء التى هى افضل
من الممدوح هو الله تعالى والحق وذلك ان
ساير الاشيآء الفاضله انما تمدح بان تنسب الى الله
والى الخير فان الممدوح هو الفضله والعمل بها ثم
انتهى كلامه هذا الى ان قال فالله تعالى اكرم واشرف
من ان يمدح بل انما يمجد ونحن نمجد الله تعالى
ونقدسه بمجدا كبيرا واما السعاده فلانها امر
الهى فانها تفعل الاشيآء كلها لاجلها فهى كذلك ايضا
ممجده وفعل هذا الامر ينبغى ان لا يمدح السعاده

لانها اجل من كل مدح بل نجدها في نفسها وندبر امورها كلها
بها وبقدر قسطها منها ۞ تمت المقالة الثالثة من هذا الكتاب

المقالة الرابعة

قد علمنا فيما سلف
ان السعادة تظهر في الافعال من العدالة والشجاعة
وسائر ما يحت هذه الانواع التي احصيناها وحددناها
وهذه الافعال قسط منها ممن ليس بسعيد والافضل
وذلك انه قد يعمل بعض الناس عمل العدول وليس بعادل
ويعمل عمل الشجعان وليس بشجاع ويعمل اعمال الاغنياء
وليس بعفيف مثال ذلك ان من يترك الشهوات
من المآكل والمشارب وسائر اللذات التي نهمك
فيها غيره انما لانه يتسط منها اكثر مما تحضره وانما لانه
لا يعرفها ولم يباشرها كالقرويين الذين يعدلون
عن البلد وكالرعاة في البوادي وقلل الجبال

المنفصلة التي من الثلثة اعني ان نسبة الاول
الى الثاني كنسبة الثالث الى الرابع مثال ذلك
ان يقال ان نسبة هذا الانسان الى هذه الكراهة
او الى هذا المال كنسبة كل ما كان من مثل مرتبته
الى مثل قسطه فاذن يجب ان يوفر عليه ويسلم اليه
فاما في الامور التي تكون في القسم الثاني اعني المعاملات
فليكون النسبة المنفصلة منع وبالنسبة المتصلة اخرى
مثال ذلك ان يقول نسبة هذا البز الى هذا الاسكاف
كنسبة هذا الثوب الى الحذاء ثم ليس يمنع مانع ان يقول
ان نسبة البز الى الاسكاف كنسبة الاسكاف الى النجار
او يقول نسبة الحذاء الى الثوب كنسبة الحذاء الى الكرسي
وتبين لك من هذين المثالين ان النسبة الاولى يكون
بالعرض والعمق جميعا اعني ان الاولى يجمع من الكلمين

والجرحين فهو بالعموم اشبه والثاني يقع بالعرض
في الجرحين وقد يقع بين الكلين والجرحين ايضا
فاما العدالة التي تقع في المظالم وبين امور القسمة
فهو بالنسبة الى المساحة اشبه وذلك ان الانسان
متى كان على نسبة من انسان آخر فابطل هذه النسبة
بحيف او ضرر يلحقه به فان العدالة توجب ان يلحق
به ضررا مثل ليعود التناسب الى ما كان عليه
فالعادل من شانه ان يساوي من الاشياء الغير المتساوية
مثال ذلك ان الخط اذا قسم بقسمين غير متساويين
نقص من الزايد وزاد على الناقص حتى يحصل له
التساوي ويذهب عنه معنى القلة والكثرة ومعنى
الزيادة والنقصان وكذلك الخفة والثقل وجميع
ما اشبه ذلك ولكن ينبغي ان يكون عالما بطبيعة الوسط

حتى يرد الطرفين اليه مثال ذلك الربح والخسران
فانهما في باب المعاملات طرفان فان احدهما الزيادة
والآخر النقصان فان اخذ اقل مما يجب فهو زار
الى جانب النقصان وان اخذ اكثر مما يجب كان
خارجا الى جانب الزيادة والشريعة هي التي ترسم
في كل واحد من هذه الاشياء التوسط وهو العدال
وان الناس هم متفاوتون بالطبع ولا يتم لهم عيش
الا بالتعاون فبعضهم يجب ان يخدم بعضا ويأخذ
بعضهم من بعض ويعطي بعضهم بعضا فهم يطلبون
المكافات على المناسبة فاذا اخذ الاسكاف
من النجار عمله واعطاه عمله فهو المعاوضة اذا كان
العملان متساويين ولكن ليس يمنع مانع ان يكون
عمل الواحد خيرا من عمل الآخر فيكون الدينار هو المقوم

والمسوّى بينهما فالدينار هو عدل ومتوسّط
الّا انه ساكت والانسان الناطق هو الذى يستعمله
ويقوم به جميع الامور التى تكون فى المعاملات حتى
يجرى على استقامه ونظام ومناسبة صحيحه عادله
وكذلك يستعان بالحاكم الذى هو عدل ناطق اذا
لم يستقم الامر بين الخصمين بالدينار الذى هو
عدل ساكت وارسطوطالس يقول ان الدينار
ناموس عادل ومعنى الناموس فى لغتهم السياسه والتدبير
وما اشبه ذلك فهو يقول فى كتابه المعروف بالاخلاق
ان الناموس الاكبر هو عند الله تعالى والحاكم
ناموس ثانى من قبله والدينار ناموس ثالث
فناموس الله تعالى قد وضع النواميس يعنى الشرايع
والحاكم الذى هو قيّم به والدينار مقتدى بالث

واما قوّمت به الاشياء المختلفه بالايمان المختلفه لتصح
المشاركات والمعاملات وبين وجه الاخذ
والاعطاء فالدينار هو الذى يسوّى بين المختلفات
ويزيد فى شئ وينقص من آخر حتى يحصل بينهما
الاعتدال فيستوى المعامل من الفلاح والتجار
مثلا وهذا هو العدل المدنى والعدل البلدى
عمرت المدن بالجور المدنى خربت المدن
وليس بمنع مانع من ان يكون عمل يسير يساوى عملا كثيرا
مثال ذلك ان المهندس ينظر نظرا قليلا
ويعمل عملا يسيرا ويساوى نظره هذا عملا كثيرا
من اقوام يكدّون بدنه ويعملون ما يرسمه وكذلك
صاحب الحمّام يكون بدنه ونظره يسيرا ولكنه
يساوى اعمالا كثيرة ممن يحارب بدنه ويعمل الاعمال

الفضله العظمه فالجابر يبطل التساوى وهو
اشد ارسطوطاليس على ثلثه منازل فالجابر الاعظم
هو الذى لا يقبل الشريعه ولا يدخل تحتها
والجابر الثانى هو الذى لا يقبل قول الحاكم العادل
فى معاملاته وامور كلها والجابر الثالث هو الذى
لا يكتسب ويغصب الاموال ويعطى نفسه اكثر
مما يجب لها ويمنع اقل مما يجب له قال فالتمسك
بالشريعه يعمل بطبعه المساواة فملكت الخيرات والسعادة
من وجوه العدالات لان الشريعه تامر الاشياء
المحموده كلها من عند الله عز وجل فلا تامر الا بالخير
والا بالاسباب التى تفعل السعادة وهى ايضا تنهى عن
الرذائل التى لبدنيه وتامر ايضا بالشجاعه وحفظ
الترتيب والثبات فى مصاف الجهاد وتامر بالعفه

وتنهى عن الفسوق والاعتراء والشتم والبخر
وبالجمله تامر بجميع الفضايل وتنهى عن جميع الرذايل
فالعادل يستعمل العداله فى ذاته وفى شركايه
المدنيين والجابر يستعمل الجور فى ذاته وفى
اصدقايه ثم فى جميع شركايه المدنيين قال
وليست العداله جزاء الفضيله بل هى الفضيله
كلها ولا الجور الذى هو ضدها جزء من الرذيله
لكنه الرذيله كلها فبعض انواع الجور ظاهر
يفعل بالارادة مثل ما يكون فى البيع والشرى
والكفالات والعروض والعوارى وبعضها
خفى يفعل ايضا بالارادة مثل السرقه والفجور
ومثل القياده وخداع المماليك وشهادة الزور
وبعضها غشى على سبيل التغلب مثل التعدى

بالتهوّر والقيوة وبراغلال والفرية فالامام
العادل الحاكم بالسويّة يبطل هذه الانواع
ويخلف صاحب الشريعة في حفظ المساواة
فهذا لا يعطي ذاته من الخيرات اكثرها يعطي غيره
ولذلك فصل في الخبر ان الخلافة تظهر الانسان
وقال واما العامة فانها توهّل الى مرتبة الامامة
اعني الخلافة فمن كان شريفا في نفسه ونسبه
وبعضهم توهّل لذلك ومن كان كثير المال
فاما العملاء فانهم توهّلون لذلك ومن كان
حكيما فاضلا فان الحكمة والفضيلة هي التي تعطي
الرياسات والسيادات الحقيقية وهي التي
رتبتها الاول والثاني في مرتبتها وفضيلتها
واسباب المضرات كلها تنقسم الى اربعة انواع

احدها الشهوة وتتبعها الرداءة والثاني الشره
وتتبعها الجور والثالث الخطا وتتبعه الرداءة
والرابع الشقاوة وتتبعها الحيرة فاما ذلة وخمول
اما الشهوة فانها تحمل الانسان على الاضرار بالغير
الا انه يكون لاهو ثرا له ولا ملتذا به ولكنه
يفعله ليصل به الى ما يشتهيه وربما كان سالما
به كارها له الا ان قوة الشهوة تحمله على ارتكاب
ما يوتكب واما الشره يتعمد الاضرار بغيره
على سبيل الايثار له والالتذاذ به وكمن يسعى
الى السلطان ويحمله على ازالة نعمة لا يصل اليه
منها شيء لكن يتلذذ بالكره الذي يصل الى غيره
واما الخطا فان صاحبه لا يقصد الاضرار بغيره
ولا يوثر ولا يلتذ به بل يقصد فعلا ما

فيعرض منه فعل آخر وصاحب هذا الفعل يحزن
ويكتئب لما انفق عليه من الخطأ واما الشقاء
فصاحبه لا يكون مبدأ فعله البته ولا له فيه
صنع بالقصد لكن يوقعه فيه سبب آخر خارج
وذلك كمن يصادم به دابة صديقا له فيقتله
او يرمي سهمه الى صيد فيصيب انسانا فهذا يسمى شقيا
وهو مرحوم معذور لا تحق عليه عتب ولا
عقوبة واما السكران والغضبان والغيران
اذا فعلوا فعلا قبيحا فانهم يستحقون العتب والعقوبة
لان مبدأ فعلهم الله وذلك ان السكران يختار
ازالة عقله والغضبان يختار الانقياد لها
بمن الفوتين اذا هاجتا به ونعود الى ما كنا فيه
من ذكر العدالة فنقول ان ارسطوطالس قسم

العدالة الى ثلثة اقسام احدها ما يقوم به الناس
لرب العالمين وهو ان يجري الانسان فيما بينه
وبين الخالق جل وعلا على ما ينبغي وحسب ما يجب عليه
من حقه وبقدر طاقته وذلك ان العدل
اذا كان تاما هو اعطاء من يجب ما يجب كما يجب
فمن المحال ان لا يكون لله تعالى الذي وهب لنا جميع
الخيرات العظيمة واجب ينبغي ان نقوم به بعض
الناس لبعض من ادآء الحقوق وعظيم الرؤساء
وتاديه الامانات والنصفة في المعاملات
والثالث ما يقومون به من حقوق اسلافهم مثل
ادآء الديون عنهم وانفاذ وصاياهم وما اشبه ذلك
فهذا ما قاله ارسطوطالس فاما نحن فما نقوله مما
يجب لله عز وجل وان كان ظاهرا فانا نقول فيه

٢٩٣٧٩

ما يليق بهذا الموضع وهو ان العدالة لما كانت مانعة
في الاخذ وغير اعطاء والكرامات التي ذكرناها
وجب ان يكون ما يصل الينا من عطيات الخالق
عز وجل ونعمه التي لا تحصى حتى نقابل عليه
وذلك ان من اعطى خيرا اما وان كان غلاما ثم
ان لم ير ان يقابل عليه بضرب من المقابلة
فهو جائر فكيف به اذا اعطى جما كثيرا واخذ
احدا ايما ثم لم يعط في مقابلته شيا البته
ثم على قدر النعمه التي تصل الى الانسان يجب
ان يكون اجتهاده في المقابله عليها ومثال ذلك
ان الملك الفاضل اذا امن السرب وبسط العدل
واوسع الناس وحمى الحريم وذب عن الحوزة
ومنع من المظالم ووفر الناس على ما يختارونه

من مصالحهم ومعايشهم فقد احسن الى كل احد من رعيته
احسانا يخصه في نفسه وان كان قد عمهم بالخير
واستحق من كل واحد منهم ان يقابله ضربا من المقابله
متى وعد عنه كان جائرا اذ كان لم يعطه نعمة ولا
يعطيه شيا لكن مقابلة الفاضل من جهة رعيته
انما يكون باخلاص الدعاء ونشر المحاسن وجميل
الشكر وبذل الطاعة وترك المخالفة في السر
والعلانية والمحبة الصادقة وانام سيرته نحو
استطاعته والاقتداء به في سير منزله واهل
وولده وعشيرته فان نسبة الملك الى مدينته
ورعيته كنسبة صاحب المنزل الى منزله واهله
فمن لم يقابل ذلك الاحسان بهذه الطاعة والمحبة
فقد جار وظلم وهذا الجور والظلم اذا كان

ومهما بدا النعم الكثير فهو الفحش واقبح وذلك ان
الظلم وان كان كثيفا قبيحا فان مراتبه كثيرة
لانهاية لكل نعمة انما تكون بحسب منزلها ووقعها
وبقدر فايدتها وعايدتها وعلى مقدار عددها
فان كانت النعم كثيرة وعظيمها الموقع فكيف يكون
حال من لا يلتزم لها حقا ولا يرى عليها مقابلة
بطاعة ولا شكر ولا محبة صادقة وانسعاه
صالح وان كان هذا صنعه فاعنه منكر واجاعه محمود
في طوكا وسوسانيا فكم بالحري ان يكون الملك الذي
يصل الينا في كل يوم بل في كل طرفة عين ضروب الاحسان
الفايض على احسانا ونفوسنا التي لا تقع عليها احصاء
وا عدد من الحقوق الواجب علينا القيام بها والنهوض
بتادتها اتراانا نجهل النعمة ولا نعلنا بالوجود ثم

تابعها متواترة بعد ذلك بالحلو الجسداني الذي
اقتنى فيه صلب كتابي التشريح ومنافع الاعضاء
ثم لم يبلغ بعض ما عليه كله الامر ام تراانا نحن
ما وهب لنا من نفوسنا وما ركب فيها من القوى
والملكات التي لا نهاية لها وما امدها به من فيض
العقل ونور وهايه وبركاته وما عرضنا به
للملك الابدي والنعيم السرمدي لا لعمري ما
يجهل هذه النعم الا النعم فاما الانسان فمعرف
من ذلك ما يضطر اليه مشاهدة احواله في جميع
اوقاته واذا كان الحال تعالى غنيا عن صنعنا
وما عنا من المحال القبيح والجور الفاحش ان لا
نلتزم له حقا ولا نقابله على هذه الآلاء والنعم
بما يزيل عنا سمة الجور والخروج عن شريطة العدل

الا ان ارسطوطالس في هذا الموضع لم ينص
عن العبادة التي يجب ان يلتزمها الخالقنا عز وجل
غير انه قال ما هذه حكايته وقد اختلف الناس عما
ينبغي ان يقوم به المخلوقون لخالقهم تعالى جده
فبعضهم راى انه صلوات وصيام وخدمة هياكل
ومصليات وقرابين وبعضهم راى ان يقتصر
على الاقرار بربوبيته والاعتراف باحسانه وتمجيده
بحسب استطاعته وبعضهم راى ان يتقرب اليه
بان يحسن الى افضله بتركيتها وحسن سياستها
والاحسان الى المستحقين من اهل نوعه بالمواساة
ثم بالحكمة والموعظة وبعضهم راى ان اللهج بالفكر
في الالهيات والتصرف نحو المحاولات التي ترتد
بها الانسان من معرفة ربه حتى يكامل به معرفته

وصفه وحمد انيته وصرف الوكد اليه هو ما يجب
على الانسان لخالقه وبعضهم راى ان الواجب لله عز وجل
على الناس ليس بمسئله واحدا ولا هو شئ بعينه
يلتزمه الجميع التي اما واحدا وعلى مثال واحد
ولكنه مختلف بحسب اختلاف طبقات الناس
ومراتبهم من العلم فهذا ما قاله ارسطوطالس بالفاظه
المنقوله الى العربية فاما ما قاله المحدثون من الفلاسفة
فانهم قالوا عبادة الله عز وجل في جملته انواع احدها
فما يجب له على الابدان كالصلوة والصيام والسعي
الى المواقف الشريفة لمناجاة الله عز وجل وثانيها
فما يجب له على النفوس كالاعتقادات الصحيحة مثل
العلم بتوحيد الله عز وجل وما يستحقه من الثناء والتمجيد
والتفكر فيما افاضه الله على العالم من جوده وحكمته

تم الاتباع في هذه المعارف وثالثها فما يجب
عند شركات الناس في المدن وهي المعاملات
والمزارعات وفي المنازعات والمناكح وفي بادية
الامانات ونصيحة البعض للبعض بضروب المعاونات
وعند جهاد الاعداء والذب عن الحريم وحماية الحوزة
قالوا وهذه العبادات هي الطرق المؤدية الى الله تعالى
وهي التي يجب له على عباده وقال اخرون عبادة الله تعالى
في جملته وهي الاعتقاد الحق والقول الصواب والعمل الصالح
ثم ان العمل ينقسم الى البدن كالمعاملات والجهاد
ثم ان المعاملات تنقسم الى المعاوضات والمناكح
والمعاونات وهذه الانواع وان كانت معدودة
محصورة فانها منقسمة الى انواع كثيرة واقسام غير
محصاة وللانسان فيها مقامات ومنازل عند الله عز وجل

فالمقام الاول للموقنين وهو رتبة الحكماء واجلة العلماء
والثاني مقام المحسنين وهو رتبة الذين يعلمون بالمعلوم
وهو ما ذكرناه في كتابنا هذا من الفضائل والعمل بها
والمقام الثالث مقام الابرار وهو رتبة المصلحين
وهو لاء هم خلفاء الله عز وجل بالحقيقة في اصلاح العباد
والبلاد والمقام الرابع مقام الفائزين وهو رتبة
المخلصين في المحبة والهائمين رتبة الاتحاد وليس بعدها
منزلة ولا مقام للمخلوق وسعادة الانسان بهذه المنازل
اذا حصلت له اربع خصال اولها الحرص والنشاط
والثاني المعلوم بالحقيقة والمعارف اليقينية والثالث
الحسام الجهل ونقصان القريحة اللذين يحدثان
بالاهمال والرابع لزوم هذه الفضايل والتي فيها طيا
بحسب الاستطاعة فهذه اسباب الاتصال وها هنا

انقطاعك عن الله عز وجل ومساقطه وهي التي تعرف
باللغاين فاولها السقوط الذي يستحي الاعراض وتتبعه
الاستهانه والثاني السقوط الذي يستحي به الحجاب
وتتبعه الاستخفاف والثالث السقوط الذي يستحي به
الطرد وتتبعه المقت والرابع السقوط الذي يستحي به
الخساة وتتبعه البغض وانما يسعى العبد اذا حصل
على اربع خصال اولها الكسل والبطاله وتتبعها ضياع الزمان
وفنا العمر بغير فائده انسانيه والثانيه الغباوه
والجهل المتولد ان عن ترك النظر وريا ضه النفس بالتعاليم
التي احصيناها في كتاب ترتيب السعادات والثالث
الوقاحه التي ينتجها اهمال النفس اذا تبعت الشهوات
وتركت زمامها عن ركوب الخطايا والسيئات والرابعه
الاهمال الذي يحدث عن الاستمرار في القبائح وترك الاناب

وهذه الانواع الاربعه مسماه في الشريعه باربعه اسماء
فالاول هو الزيغ والثاني هو الرين والثالث هو العشاوه
والرابع هو الختم ولكل واحد من هذه الشقاوات
علاج خاص سنذكر عند مداواة اسقام النفس
حتى نعود الى الصحه باذن الله عز وجل وهذه اشياء
التي عددناها الآن لاخلاف من الحكماء فيها ومن
اصحاب الشرايع وانما نحلف العبارات وبعض الشارات
الينا بحسب اللغات وافلاطون يقول ان العداله
اذا حصلت للانسان اشرق بها كل واحد من اجزاء النفس
على كل واحد منها وذلك لحصول فضايلها اجمع فيها
فحينيذ ينهض النفس فيوحي فعلها الخاص بها على افضل
ما يكون وهو غايه قرب الانسان السعيد من الاله تقدس اسمه
قال والعداله توسط ليس على جهة التوسط الذي

في الفضائل الى تقدم ذكرها لكن لانه في الوسط
والجود في الطرفين وانما صار الجود في الطرفين لانه
زيادة ونقصان معا وذلك ان مرسان الجود طلب
الزيادة والنقصان معا واما الزيادة فمن النافع على الاطلاق
والنقصان فمن الضار فذلك لا يجايز يكون مستعملا
للزيادة والنقصان معا اما لنفسه فيستعمل الزيادة
في النافع واما لغيره فيستعمل النقصان منه واما
بالضار فبالضد وعلى العكس وذلك لانه اما لنفسه
فيستعمل النقصان واما لغيره فيستعمل الزيادة
والفضائل التي قلنا انها اوساط من الرذائل هي
غايات ونهايات وذلك ان الوسط هاهنا نهاية لها
من كل جهة فهو في غايه البعد منها ولذلك من بعد
من الوسط بزيادة بعد قرب من رذيلة كما قلنا

فقد تبين من جميع ما قدمنا ان الفضائل كلها
الاعتدالات وان العدالة اسم يشملها وبعمها
كلها وان الشريعة لما كانت تقدر الافعال الارادية
التي تقع بالروية وبالوضع الالهي صار التمسك بها
في جملة ملائة عدلا والمخالف لها جايرا فلهذا قلنا
ان العدالة لقب التمسك بالشريعة الا انا قلنا مع ذلك
انها هيئة نفسانية تصدر عنها هذه الفضيلة
فتصور هذه الهيئة النفسانية فلك ستر على
روية واضحة ان صلحها يقاد لا محالة طوعا
لانها والايضاد لها بنوع من انواع التضاد وذلك
انه اذا حافظ على المناسبات التي ذكرناها
لانها مساواة واثرها بعد حالة الرضى فيها على
سبيل الاختيار لها والرغبة فيها وجبت عليه

ضوافقه الشريعه وترك مخالفتها واقل ما يكون
المساواه بين اثنين ولكنها يكون في معامله مشتركه بينهما
وهي الشئ الثالث وربما كان شيئان كما قلنا
فصير الهناسبات من اربعه كما قلنا فينبغي
ان يعلم ان هذه الهيئه النفسانيه هي غير الفعل
وغير المعرفه وغير القوه اما الفعل فلانا قد بينا
انه قد يقع عن غير هيئه نفسانيه كمن يعمل اعمال
العداله وليس بعادل وكمن يعمل اعمال الشجاعه
وليس بشجاع واما القوه والمعرفه فلان كل واحد
منهما هي بعينها للضدين معا فان العلم بالضدين
واحد وكذلك القوه على الضدين قوه واحده
فاما الهيئه القابله لاحد الضدين فهي غير الهيئه
القابله للضد الاخر ومثال ذلك هيئه الشجاع

فانها غير هيئه الجبان وكذلك هيئه العفه
غير هيئه الشره وهيئه العداله غير هيئه الجور
ثم ان العداله والحريه تشتركان في باب المعاملات
ويراعيان الاعطاء الا ان العداله تقع في اكتساب
المال على الشرايط التي ذكرناها ايضا وعلى شان
من اكتسب ان ياخذ فهو بالمنفعل اشبه وعلى شان
من ينبغي ان يعطي فهو بالفاعل اشبه فلهذا العلة
يكون محبة الناس للحر اشد من محبتهم للعادل الا ان
نظام العالم بالعداله اكثر منه بالحريه وخاصه الفضل
هي في فعل الخير لا في ترك الشر وخاصه محبه الناس
وحمدهم في بذل المعروف لا في جمع المال فالحر
لا يلزم المال ولا يجمعه لذاته بل ليصرفه في وجوهه
الى اكتساب المحاب والمحامد ومن خاصه الحر ان

لا يكون كثير المال لانه منافق ولا يكون ايضا
فقيرا لانه كسوب من حيث يعني وهو غير مكاسل
عن الكسب البتة لانه بالمال يصل الى فضيلة الحرية
وكذلك لا يضيع المال ولا يستعمل فيه التبذير
ولا يشح ايضا به ولا يستعمل التقتير وكل حر عادل
وليس كل عادل حرا وفي هذا الموضع مسئلة غوص
سأل عنها الحكما القسيم واجابوا عنها بجواب مقنع
ويمكن ان يجاب فيها بجواب آخر هو اشد قناعا ويجب
ان نذكر الجمع وهو ان لشاكل ان يشك فيقول اذا
كانت العدالة فعلا اختياريا تتعاطاها العادل
ويقصد بها تحصيل الفضيلة الشريفة لنفسه
والملحة عن الناس فيجب ان يكون الجور فعلا اختياريا
يتعاطاه الجاير ويحصل به الرذيلة لنفسه وعلى الناس

ومن القبيح الشنيع ان نظن بالانسان العاقل انه
يقصد الاضرار بنفسه بعد التوبة وعلى
سبيل الاختيار ثم اجابوا عن ذلك وحلوا هذا
الشك بان قالوا ان من ارتكب فعلا يؤدي الى ضرر
او عذاب فانه يكون ظالما لنفسه وضارا لها حيث
يقدر انه ينفعها وذلك بسوء اختياره وترك مشاورة
العقل فيه ومثال ذلك الحاسد فانه ربما جنى على
نفسه على سبيل ايثار الاضرار لنفسه بل لانه
يظن انه ينفعها بالعاجل في الخلاص من الالم الذي
يلحقه من الحسد فهذا جواب القوم فاما الجواب الاخر
فهو ان الانسان لما كان ذا قوى كثيرة يسمى مجموعها
انسانا واحدا لم ينكر ان يصدر عنه افعال مختلفة
بحسب تلك القوى واما المنكر ان يكون الشيء الواحد

البسيط ذا القوة الواحدة ويقع منه بسلك القوة
افعال مختلفة لا بحسب الآلات المختلفة وانقسام العامل
منه بل بسلك القوة الواحدة فقط فهذا العمر منكر
شنيع ولكن الانسان قد يتبين من حاله ان له قوى كثيرة
فيعمل بكل قوة عملا مخالفا للعمل الآخر يعني ان صاحب
الغضب اذا استشاط انحاز افعالا مخالفة لافعاله
اذا كان ساكنا وادعا وكذلك صاحب الشهوة الهائجة
وصاحب الشهوة الطروب فان من شان هؤلاء
ان يستخدموا العقل الشريف في سلك المحال وان يستشيروه
وكذلك يجد العاقل اذا تغيرت احواله من فضائل
من الغضب الى الرضا ومن التسكر الى الافاقة يتعجب
نفسه ويقول ليت شعري كيف اخرجت تلك الافعال
القبيحة فيلحقه الندم وانما ذلك لان القوة التي تهيج به

تدعوه الى ارتكاب افعال بطرق في تلك الحالة
صالحة جملة به ليتم له حركة القوة الهائجة به
فاذا سكن عنها وراجع عقله راى قبح تلك الفعل
وفساده وقوى الانسان التي تدعوه الى ضروب
الشهوات ومحبة الكرامات التي لا يستحقها كثيرة جدا
فهو بحسب قواه الكثيرة يكون افعاله كثيرة فاذا تعود
الانسان ان يكون سيرته فاضلة ولم تقدم على شيء
من افعاله الا بعد العقل الصريح وبعد مراعاة
الشريعة القويمة كانت افعاله كلها منتظمة غير مختلفة
ولا خارجة عن سنن العدل اعني المساواة التي قدمنا
القول فيها وهذا السبب هو ان السعيد هو من افعاله
في صباه ان يأنس بالشريعة ويستسلم لها ويتعود جميع
ما تأمر به حتى اذا بلغ المبلغ الذي يفهمه معه

ان يعرف الاسباب والعلل طالع الحكمة فوجدها
موافقة لما تقدمت عادته به فاستحكم رايه
وقويت بصيرته ونفذت عزيمته وهاهنا مسئلة
عويصة هي اشد من الاولى وهو ان التفضل محمود
جدا وليس يقع تحت العدالة لان العدالة كما ذكرنا
مساواة والتفضل زيادة فنحكم ان العدالة
تجمع الفضايل كلها ولا يتزيد عليها بل يجب ان يكون
الزيادة عليها مذمومة كما ان النقصان عنها مذموم
ليكون شرف الوسط الذي تقدم وصفه في سائر
الاحوال حاصلا للعدالة فالجواب عنها ان التفضل
احتياط ينفع من صاحبه في العدالة لياخذ بشر
وقوع البعض في شيء من شرايطها وليس الوسط في
كل الطرفين من الاحوال على شريطة واحدة وذلك

ان الزيادة في باب السخاء اذا لم تخرج الى التبذير
احسن من النقصان عنه واشبه بالمحافظة على
شرايطه حتى يصير كالاحتياط عليه واخذ الحزم فيه
فاما العفة فان من الوسط النقصان فيها احسن
من الزيادة عليه واشبه بالمحافظة على شرايط
وابلغ في نيل احتياط عليه واخذ الحزم فيه ومع ذلك
فليس يستعمل التفضل الا حيث يستعمل العدالة
واعني بذلك ان من اعطى ماله من لا يستحق شيئا منه
وترك مواساة من يستحقه لا يسمى متفضلا بل مضيعا
وانما يكون متفضلا اذا اعطى من يستحق كل ما يستحق
زاده متفضلا وهذه الزيادة ليست من الزيادة التي ذكرناها
في باب السخاء لان تلك الزيادة ذهاب الى الطرف
الذي يسمى تبذيرا وهو مذموم ويعرف ذلك من حدها

وهو بذل ما ينبغي من ان ينبغي كالانبغي فاذا
التفضل خارج عن العدالة بل هو محاط عليها
ولذلك قيل ان المتفضل اشرف من العادل فقد بان
ان التفضل ليس غير العدالة بل هو العدالة مع زيادة احتياط
فيها وكانه مبالغة لا يخرج معناها لان هذه الهيئة
النفسانية ليست غير تلك الهيئة بل هي هي فاما
الاطراف التي هي رذائل اعني الزيادة والنقصان
الى سبع الفول فما فوق كلها هيئات مذمومة غير الهيئة
المحمودة وحدود هذه الاسماء هي التي تحصل لك
معانيها وبعضها يشارك البعض وبعضها مباين للبعض
وايضا فان الشريعة تامر بالعدالة امرا كليا وليس
يحط الى الجزئيات والغنى عن ذلك ان العدالة التي هي
المساواة تكون مرة في باب الكم ومرة في باب الكيف

وفي سائر المقولات وبيان ذلك ان نسبة الماء
الى الهواء مثلا ليست كنسبة الكم بل كنسبة الكيف
ولو كانت الى الكمية لوجب ان يكونا متساويين في المساحة
ولو كانا كذلك لتعاليا واحتال احدهما الآخر الى ذاته
وكذلك النار والهواء ولو احالت هذه العناصر
بعضها بعضا لفنى العالم في ارجى مدة ولكن الباري تقدس وتعالى
عدل بين هذه القوى وقاومت وليس تغلب احدها الآخر
بالكلية وانما تحل الجزء منها الجزء في الاطراف اعني
حيث يلتقي نهاياتها واما كلياتها فلا يقدر على كلياتها
لان قواها متساوية متعادلة على غاية السوية والتعادل
وهذا النوع من العدل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعدل قامت السموات والارض ولو رجح احدهما على الآخر
بزيادة يسيرة لاختل الزائد النقصان وقوي عليه فبطل العالم

فسبحان القايم بالقسط لا اله الا هو فلما كانت الشريعة
تامر العداله الكليه لم يامر التفضل الكلي بل ندب اليه
واستحث في الجزييات التي لا يمكن ان يعس عليها لانه
بلا نهايه وحيث صحت القول في العداله الكليه لانها محصوره
يمكن ان يعس عليها فلنبين ايضا ما قدمناه ان
التفضل انما يكون في العداله التي يخص بها الانسان نفسه
اعني تسويه المعاملة او لا فما بينه وبين غيره ثم الاستظهار
والاحتياط عليه بما يكون تفضلا ولو كان حاكم بين قوم
ولا نصيب له في تلك الحكومه لم يجز له التفضل
ولم يسعه الا العدل المحض والتسويه الصحيحه
بلا زياده ولا نقصان وشبيه ايضا ان الهيئه التي تصدر
عنها الافعال العادله متى نسبت الى صاحبها سميت
فضيله ومتى نسبت الى من يعامله بها سميت عداله

واذا اعتبرت هذه الهيئه سميت ملكه نفسانيه
واستعمال المرء العامل العدل على نفسه اول ما
يلزمه ويجب عليه وقد ذكرنا فيما تقدم كيف يفعل
ذلك وبينا كيف يعدل قوله الكثير اذا هاج به
بعضها واشتهى الى اجناس هذه القوى الكثيره وان
بعضها يكون للشهوات المخلفه وبعضها يطلب
بالكرامات الكثيره وانها اذا تعالت وتهاجت
حدث في الانسان باضطرارها انواع الشر وجذبه
كل واحد منها الى ما يوافقها وهلك بسبل كل مركب
من كثره اذا لم يكن لها رييس واحد ينظمها ويوحدها
وارسطوطاليس شبه من كان كذلك برجل ركب من
جهتين فقطع عنها ونشق بصفين او من جهات
كثيره فيقطع بحسب تلك الجهات وقواها وليس

ينظم هذه الكثرة التي ركب منها الا الرئيس الواحد
الموهوب له بالفطرة اعني العقل الذي به يتمين
ما الهام وهو خليفة الله عنده فان هذه القوى
كلها اذا اساسها العقل اعتدلت وزال عنها سوء
النظام الذي يحدث من الكثرة وجميع ما ذكرناه
من اصلاح الاخلاق مبني عليه فاذا تم للانسان
ذلك اعني ان يعدل على نفسه واحرز هذه الفضيلة
فقد لزمه ان يعدل على اصدقائه واهله وعشيرته
ثم يلزمه ان يستعمل ذلك في الاعداء ويراباعدثم
في ساير الحيوان واذ قد صح ذلك وظهر ظهورا حسنا
وقد ظهر بظهور ان شر الناس من جار على نفسه
ثم على اصدقائه وعشيرته ثم على كافة الناس والحيوان
لان العلم باحد الضدين هو العلم بالضد الآخر

خير الناس العادل وشرهم الجائر كما قلناه
وقد قال قوم ان نظام امر الموجودات كلها
وصلاح احوالها كلها يتعلق بالمحبة وقالوا ان
الانسان انما اضطر الى اقتناء هذه الفضيلة
اعني الهيبة التي تصدر عنها العدالة عند تعاطي
المعاملات لما فيها من شرف المحبة ولو كان المتعاملون
اجمعون تناصفوا ولم يقع بينهم اختلاف ولا تنازع
وذلك ان الصديق يحب صديقه ويريد له ما يريد
لنفسه وليس تتم الثقة والتعاضد والتوازر
الا بين المتحابين فاذا تعاضدوا وجمعهم المحبة
وصلوا الى جميع المحبوبات ولم يتعذر عليهم المطالب
وان كانت صعبة شديدة وحينئذ يشتركون الاراء
الصائبة ويتعاونون العقول على استخراج الغوامض

حر البدن بر القوة ويتقوون على نيل الخيرات كلها
بالتعاضد وارتباط طالس احد من نصر هذا الراى
وقواه وهو لاء القوم انما نظروا الى فضيلة
النفس المعدة الى تحصيل من الكثرة ولعمرى انها اشرف
غايات اهل المدينة وذلك انهم اذا تحابوا وتواصلوا
واراد كل واحد منهم لصاحبه مثل ما يريد لنفسه
فصار القوى الكثير واحدا ولم يتعد بها على احد منهم
راى صحيح واعمل صواب ويكون مسلم فى جميع
ما يحاولونه مثل من يريد تحريك ثقل عظيم لطيف
فلا يطيق ذلك فان استعان بقوة غير حركة وطلب
المدينة ما يقصد بجمع تدابير ايقاع المودات
بين اهلها واذا تم له هذا خاصة فقد تم له جميع الخيرات
التى يقدر عليها وحصل على افراد اهل مدينته

وحينئذ يغلب اقرانه ويغمر اعدائه ويعيش هو
ورعيته مغبوطين ولكن هذا المقصود المطلوب
المرغوب فيه لا يتم الا بالآراء الصحيحة التى يرجى
الاعتماد من العقول السليمة عليها والاعتقادات
القويمة التى لا تحصل الا بالديانات التى يقصد بها
وجه الله عز وجل واصناف الملحات كثيرة وان كانت
ترجع كلها الى وجه واحد وسنقول بعون الله فيها
بما يسنح فيما يتلو هذه المقالة ①

المقالة الخامسة من تهذيب الاخلاق

قد سبق القول فى حاجة بعض الناس الى بعض وتبين
ان كل واحد منهم يجد تمامه عند صاحبه وان الضرورة
داعية الى استعانة بعضهم ببعض لان الناس مطبوعون
على النقصانات ومضطرون الى اتمامها ولا سبيل

وطهارة النفس

لافرادهم والواحد فالواحد منهم الى تحصيل ما به نفسه
كاشرحنا لهما مضى فالحاجة صادفه والضرورة داعيه
الى الحال يجمع ويؤلف من اسباب الاشخاص ليصيروا
بالاتفاق والائتلاف كالشخص الواحد الذى يجمع اعضاؤه
كلها على الفعل الواحد النافع له وللمحبة انواع
واسبابها يكون بعدد انواعها فاحد انواعها ما ينعقد سريعا
وينحل سريعا والثانى ما ينعقد سريعا وينحل بطيئا
والثالث ما ينعقد بطيئا وينحل سريعا والرابع ما ينعقد
بطيئا وينحل بطيئا وانما انقسمت الى هذه الانواع فقط
لان مقاصد الناس ومطالبهم وسيرهم بلذة وتركيب منها
رابع وهى اللذ والخير والنافع والمتركب منها واذا كانت
هذه غايات الناس ومقاصدهم فلا محالة انها هى اسباب
المحبة من عاون عليها وصار سببا للوصول اليها فاما

المحبة التى يكون سببها اللذ فهى التى تعقد سريعا
وتحل سريعا وذلك ان اللذ سريعة التغير كما ذكرنا
امرها فيما تقدم واما المحبة التى سببها الخير فهى التى
تعقد سريعا وتحل بطيئا واما المحبة التى سببها
النافع فهى التى تعقد بطيئا وتحل سريعا واما الذى
يتركب من هذه اذا كان منها الخير فانها تحل بطيئا
وتعقد بطيئا وهذه المحبات كلها تحدث بين الناس خاصة
لانها تكون لارادة ورؤية ويكون فيها مجازاة ومكافاة
فاما التى تكون من الحيوانات غير الناطقة فالاجدر بها
ان تسمى الفا ويقع عن الاشكال منها خاصة واما التى
لا نفوس لها من الجماد ومثالها فليس يوجد فيها الا الميل
الطبيعى الى مراكزها التى تخصها وقد يوجد ايضا
بينها منافرة ومشاكلة بحسب امزجتها الحادثة فيها من عناصرها

الاول وهذا بين امره كثير واذا وقع فيها ما يناسب
نسبة تاليفية او عددية او مساحية حدث منها
ضرب من المشاكلة واذا حدث اضدادها هذه
النسب وقعت بينها منافرة وتحدث لها اشياء تسمى
خواص وهي افعال بديعة غريبة وهي التي تسمى اسرار الطبايع
واسيما في النسب التاليفية فانها اشرف النسب بعد
نسبة المساواة ولها اضداد اعني لهذه النسب وهي
مبينة مشروحة في صناعة ارثماطيقي ثم في صناعة
التاليف واما الاغراض التي بحسب هذه النسب والوقوف
عليها فهي خفية عنا وعسر المرام وقد ادعى قوم
الوصول اليها وليس كون هذه الافعال والخواص التي
تحدث عن هذه العرضية في النسب الممكنة موجودة في
العناصر انفسها والكلام فيها خارج عن غرضنا وانما ذكرناها

لانها تشبه المشاكلات والمنافرات التي هي من الحيوان
في الظاهر والنسبة التي تحدث من الناس بالارادة
وهي التي نتكلم فيها ويقع فيها مجازاة ومكافاة والصداقة
نوع من المحبة الا انها اخص منها وهي المودة بعينها
وليس يمكن ان يقع بين جملته كثرة كما يقع بين المحبة
واما العشق فهو افراط المحبة وهو اخص من المودة
وذلك انها لا يمكن ان يقع الا بين اثنين فقط فلا يقع
في النافع ولا في المركب من النافع وغيره وانما يقع في
اللذ بافراط وفي المحب الخير بافراط واحدها مذموم
اعني اللذ وآخر محمود اعني الخير والصداقة بين الاحداث
ومن كان في مثل طباعهم انما تحدث لاجل اللذ فهم يتصادقون
سريعا ويتقاطعون سريعا وربما انفك ذلك منهم في
الزمان اليسير مرارا كثيرة وربما بقيت بعد ثقتهم

بة اللذّ ومعاودتها حالاً بعد حال فاذا انقطعت
هذه اللذّة بمعاودتها انقطعت الصداقة في الوقت
وفي الحال والصداقة من المشايخ وحركان في مثل طباعهم
انما تقع لكان المنفعة فهم متصادقون لسببها واذا
كانت المنافع مشتركة بينهم وهي في الاكثر طويلة اللذّ
كانت صداقاتهم باقية فحين تقطع علاقة المنفعة المشتركة
بينهم وينقطع رجاؤهم منها ينقطع مودّاتهم والصداقة
بين الاخيار تكون لاجل الخير وسببها هو الخير ولما كان
الخير شيئاً ثابتاً غير متغير اللذات صارت مودّات
اصحابها باقية غير متغيرة وايضاً فلما كان الانسان
مركباً من طبايع متضادة صار مثل كل واحد منهما
يخالف مثل الاخر واللذة التي توافق احدهما بخلاف لذّة
الآخر واللذة التي تضادّها فلا تخلص له لذّة غير مشوبة

باذى ولما كان فيه ايضاً جوهر آخر بسيط الهيّ
غير مخالط لشيء من الطبايع الاخر صارت له لذّة غير
مشابهة لشيء من تلك اللذات وذلك انها بسيطة ايضاً
والمحبة التي سببها هذه اللذة هي التي تفرط حتى يصير عشقاً
تاماً فاخلصاً شبهاً بالوله وهي المحبة الالهيّة الموصوفة
التي تدّعيها بعض المتألهين وهي التي يقول فيها ارسطوطاليس
حكايةً عن ابوفلطس ان ليس اشياء المحلفة لا يشاكل
ولا يكون منها تاليف جيّد واما الاشياء المتشاكلة فهي
التي يسرّ بعضها ببعض ويشاء بعضها الى بعض فاقول
ان الجواهر البسيطة اذا تشاكلت واشاء بعضها الى بعض
تالفت واذا تالفت صارت شيئاً واحداً لا غيريّة بينها
اذ الغيرية انما تحدث من جهة الهيولى فاما الاشياء
ذوات الهيولى وهي الاجرام فانها وان اشاقت نوع

من الشوق الى التالف فانها لا تتحد ولا يمكن ذلك فيها
وذلك لانها لم تلتقيا بما وسطوحها دون ذواتها
وهذا الالتقاء يقع الانفصال اذ كان الاتحاد فيها
جسمانيا وانما تتحد بحواسطاعها اعني بالماء سطوحها
فاخذ الجوهر الالهي الذي في الانسان اذا صفا من
الكدورة التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة ولم يجد
به انواع الشهوات فاضاف محبات الكرامات
اشاق الى شبيه راى بعض عقلة الخير الاول المحض
الذي لا يشوبه مادة فاسرع اليه وحينئذ يفيض نور
ذلك الخير عليه فيلتذ به لانه لا يشبهها لذة وصير
الى معنى الاتحاد الذي وصفناه استعمل الطبيعة
البتة ام لم يستعملها الا بعد مفارقتها الطبيعة
بالكلية لحق بهذه الرتبة لانه ليس يصفو الصفاء التام

الا بعد الخلوة الدنيوية من فضائل هذه المحبة
الالهية انها لا تقبل النقصان ولا تقدح فيها
السعاية ولا تعترض عليها الملال ولا يكون الا بين
الاخيار فقط فاما المحبات التي يكون سببها المنفعة
واللذة يكون من الاخيار ومن الاشرار الا انها
تنقضي وتحلل مع تقضي المنافع لانها عرضية وكثيرا
ما تحدث الاجتماعات في المواضع القبيحة الا انها
تزول بزوال المواضع كالسفينة وما يجري مجراها
والسبب في هذه المحبة الانس وذلك ان بين انسان
انس بالطبع وليس بوحشي ولا نفور ومنه اشتق
اسم انسان في اللغة العربية وقد يتبين ذلك في
صناعة النحو وليس كما قال الشاعر سميت انسانا لانك ناسي
فان هذا الشاعر ظن ان الانسان مشتق من النسيان

وهو غلط منه وينبغي ان تعلم ان هذا الانس
الطبيعي في الانسان هو الذي ينبغي ان يحرص عليه
ويكتسبه من ابناء جنسه حتى لا يفوتنا بجهدنا
واستطاعتنا فانه عبد المحبات كلها وانما وضع
الناس بالشريعة وبالعادة الجملة اتحاد الدعوات
والاجماع في المآدب ليحصل لهم هذا الانس ولعل
الشريعة انما اوجبت على الناس ان يجتمعوا في مساجدهم
كل يوم خمس مرات وفضلت صلوة الجماعة على
صلوة الافراد ليحصل لهم هذا الانس الطبيعي
الذي هو مبدأ المحبات وهو فيهم بالقوة حتى
يخرج الى الفعل ثم يتأكد فيهم بالاعتياد الصحيح
الى بجمعهم وهذا الاجماع في كل يوم ليس يتعدد
على اهل كل محلة وسكة والدليل على انما عرض

صاحب الشريعة صلوات الله عليه ما ذكرناه فانه
اوجب على اهل المدينة باسرهم ان يجتمعوا في كل
اسبوع يوما بعينه في مسجد يسعهم ليجتمع انصافا
شمل المحال والسكك في كل اسبوع يوما بعينه
كما اجتمع شمل اهل الدور والمنازل في كل يوم
ثم اوجب ايضا ان يجتمع اهل المدينة والقرى
والرساتيق في كل سنة مرتين في مصلى بارز بين
مصرهن ليسعهم المكان ويتراءوا ويتجدد الانس
بين كافتهم وليشملهم المحبة الناظمة لهم ثم اوجب
بعد ذلك ان يجتمعوا من البلدان في العمر كله مرة واحدة
في الموضع المقدس بمكة ولم يعين من العمر على وقت
مخصوص ليتسع لهم الزمان وليجتمع اهل المدن
المتباعدة كما اجتمع اهل المدينة الواحدة وصيرهم

في بر انس والمحبة وشمول الخير والسعادة بكمال
المجتمعين في كل سنة وفي كل اسبوع وفي كل يوم
فيجتمعوا بذلك الانس الطبعي الى الخيرات المشتركة
ويتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هداهم
ويغتبطوا بالدين القيم الذي افهم على تقوى الله
وطاعته والقيم لحفظ هذه السنة وغيرها
من وظائف الشرع حتى لا يزول عن اوضاعها
هو الامام وصناعته هي صناعة الملك وهو اوايل
لا يسمون الملك الا من حرس الدين وقام بحفظ
مراتبه واوامره ونواهيه واما من اعرض عن ذلك
فيسمونه متغلبا واثوهلونه لاسم الملك وحلك
ان الدين هو وضع الهي يسوق الناس باختيارهم
الى السعادة القصوى والملك هو حارس هذا الوضع

الالهي حافظ على الناس ما اخذوا به وقد قال
حكيم الفرس وملكهم اردشير ان الدين والملك اخوان
توامان لا يتم احدهما الا بالآخر فالدين اس
والملك حارس فكل ما لا اس له فمهدوم وكل ما
لا حارس له فهو ضايع ولذلك حكمنا على الحارس
الذي نصب للدين ان يتيقظ في موضعه ويحكم
صناعته ولا يباشر امره بالهوينا ولا يستغل
بلذة يخصه ولا يطلب الكرامة والغلبة الا من وجهها
فانه متى اغفل شيا من حدوده دخل عليه من هناك
الخلل والوهن وحينيذ تتسلط اوضاع الدين
ويجد الناس رخصة في شهواتهم ويكثر من يساعدهم
فينقلب هذه السعادة الى ضدها ويحدث بينهم اختلاف
والتباغض فاداهم ذلك الى الشتات والفرقة

ونقض النظام الذي طلبه صاحب الشرع بالاوضاع الالهيه
فاصبح حينئذ الى تجديد امره والى استيناف التدبير
وطلب الامام الحق والملك العادل ونعود الى ذكر
اجناس المحبات واسبابها فنقول ان هذه الاسباب كلها
فاما المحبة الالهية اذا كانت مشتركة بين المتحابين
وواحد بعينه جاز في الشيئين ان ينعقدا معا
ويتحابا معا وجاز ايضا ان يبقى احدهما ويتحلل الآخر
ومثال ذلك ان اللذة المشتركة بين الرجل والمرأة
هي سبب للمحبة بينهما فقد يجوز ان يجمع المحبان
لان السبب واحد وهو اللذة تغيرها والمكاره تثبت
كما تقدم وصفها ويجوز ان يتغير سبب احدهما ويثبت الآخر
وايضا فان من الرجل ومن زوجته خيرات مشتركة
ومنافع مخلطة وهما يتعاونان عليها اعني الخيرات

الخارجة عنا وهي الاسباب التي ينعم بها المنازل
فالمرأة تنظر من زوجها ملك الخيرات لانه هو الذي
يكتسبها ويحضرها فاما الرجل فانه ينظر من زوجته
ضبط ذلك الحال الذي يحفظها وتدبيرها
ليتمم ولا يضيع فمتى قصر احدهما اختلف المحبة وحدثت
السكايات ولا يزال كذلك الى ان ينقطع او يبقى
مع السكايات والملامة وكذلك حال المنفعة المشتركة
بين سايرالناس اذا كان واحد بعينها فاما المحبة
المختلفة الى اسبابها ايضا مختلفة فهي اولى بسرعة التحلل
ومثال ذلك ان يكون محبة احد المتحابين لاجل المنفعة
ومحبة الآخر لاجل اللذة كما يعرض ذلك في المتعاشرين
على ان احدهما مغنى وللآخر مستمع فان المغنى منهما يحب
المستمع لاجل المنفعة والمستمع منهما يحب المغنى لاجل اللذة

كما يعرض ايضا في العاشق والمعشوق اللذين احدهما
يلتذ النظر والآخر بنظر المنفعة وهذا الصنف
من المحبة يعرض فيها ابدا التشاكي والتظلم
وذلك ان طالب اللذة يتعجل له مطلوبه وطالب
المنفعة يتأخر عنه مطلوبه وليس كذا الامر يعتدل بهما
ولذلك ترى العاشق يسكو معشوقه ويتظلم منه
وهو بالحقيقة ظالم ينبغي ان يسكو لانه يتعجل لذته
بالنظر او يرى المكافاة بما يستحق صاحبه والمحبة اللواتي
كنا نراها انواع الا ان الاصل فيها ما ذكرت ويوشك
ان تكون المحبة بين الناس والممدوس وبين الغني والفقير
يعرض لها اللوم والتوبيخ لاجل اختلاف هذه الاسباب
وان كل واحد يستطرح المكافات عند الآخر فالحب
عنه يقع فسادا في النيات منهما جميعا استبطاء

ثم ملامات وينزل ذلك طالب العدالة ورضا كل واحد
بما يستحقه من الآخر وبذل كل واحد للآخر العدل
المبسوط بينهما والمماليك خاصة لا يضيم من حوائجهم
الا الزهاد الكسر في تراستحقان ولذلك الموالي
يستبطئون العبد في خدمته والشفقة والنصيحة
وفي جمع ذلك يقع اللوم وفساد النية فهذه المحبة
اللواتي لا يكاد يحاوز منها الاعلى شرط العدل
وطلب الوسط من تراستحقان والرضا به وهو صعب
فاما محبة الاخيار بعضهم بعضا فانها اكون للذة
خارجة والمنفعة بل لمناسبة الجوهرية بينهما
وهي قصد الخير والتماس الفضيلة فاذا احب احدهم
الآخر لهذه المناسبة لم يكن بينهم المخالفة والمنازعة
ونصح بعضهم بعضا وتلاقوا بالعدالة والتساوي

في ارادة الخير وهذا التساوي في النصح وارادة الخير
هو الذي يوجد كثيرا ولهذا حمد الصديق
بانه هو انت الا انه غير بالشخص ولهذا صار
عزيز الوجود ولم يوثق بصداقه الاحداث والعوام
ومن ليس بحكيم لان هؤلاء يحبون ويصادقون
لاجل اللذة والمنفعة ولا يعرفون الخير الحقيقي
ولا اعراضهم صحيحة واما السلاطين فانهم يظهرون
الصداقة على انهم متفضلون ويحسنون الى من
يصادقهم فليس يدخلون تحت اسم الذي ذكرناه
وفي صداقتهم زيادة ونقصان والمساواة عزيز الوجود
عديم وكل كل حال المحبة للولد والوالد لان انواع
هذه المحبة مختلفة واسبابها مختلفة ايضا كما قلنا
الا ان محبة الولد للوالد والوالد للولد وان كان

بينهما اختلاف ما من وجه فان بينهما اتفاقا ذاتيا
واعني بالذاتي ها هنا ان الوالد يرى في ولده
انه هو هو وانه نسخ صورته التي تخصه من الانسانية
في شخص ولده نسخا طبيعيا ونقل ذاته الى ذاته
نقلا حقيقيا او حري به ان يراه لان التدبير الالهي
بالسياقة الطبيعية التي هي سياسة الله عز وجل
هو الذي عاون الانسان على انشاء الولد وجعله
السبب الثاني في ايجاده ونقل صورته الانسانية
الى ولده لذلك يحب الوالد لولده حتى يحب له جميع
ما يحبه لنفسه ويسعى في تاديبه وتكميله بكل
ما فاته في نفسه طول عمره ولا يشق عليه ان يقال له
ولدك افضل منك لانه يرى انه هو هو وكما ان
الانسان اذا تزيد في نفسه جمالا او فضيلة في

الا سلم درجة درجة لا يشق عليه ان يقال له
انك الآن افضل مما كنت بل يسر ذلك لذلك
يكون حاله اذا قيل له في ولد مثل ذلك ثم
يفضل ايضا محبة الوالد على محبة الولد بانه
الفاعل له وانه يعرفه عند اول كونه ويستشعره
وهو جنين ثم تزداد محبته له مع التربية والنشو
وتتاكد بما يرون به وتتاميله له وتحدث له اليقين
بانه باق به صون وان فني بجسمه مادة وان هذه
المعاني الجليلة عند اهل العلم يتراآ القوام كانها
من ورآء ستر فاما محبة الولد للوالد فانها تنقص
عن هذه المرتبة بان الولد مفعول وبانه لا يعرف
الفاعل ذاته الا بعد زمان طويل وبعد ان يستبث
اياه حسا وينتفع به دهرا ثم يعقل بعد ذلك امره

بالصحة وعلى مقدار عقله واستبصاره في الامور
تكون تعظيمه لوالديه ومحبته لهما ولهذا العلة
وصى الله الولد بوالديه ولم يوص الوالد بولده فاما
محبة الاخوة بعضهم بعضا فلاجل ان سبب كونهم
ونسبهم واحد بعينه ويجب ان يكون نسبة الملك الى
رعيته نسبة ابوية ونسبة رعيته اليه نسبة بنوية
ونسبة الرعية بعضهم الى بعض نسبة اخوية
حتى يكون السياسات محفوظة على شرايطها الصحة
وذلك ان مراعاة الملك لرعيته هي مراعاة الاب
لولده ومعاملتهم اياه ملك المعاملة وقد كاشفنا
الى حالك وسنزيد بيانا اذا صرنا الى ذكر سياسة
الملك في كتاب آخر وعناية برعيته يجب ان تكون
عناية الاب لاولاده شفقة وتحننا وتعطفا وتعهدا

خلافة لصاحب الشريعة عليه السلم بل المشرع الشريعة
تعالى اذكن في الرافة والرحمة وطلب المصالح لهم
ودفع المكاره عنهم وحفظ النظام فيهم وبالجملة
في كل ما يجلب الخير ومنع الشر فانه عند ذلك يحبه
رعيته محبة الاولاد للاب الشفوق ويحدث بينهما
ملك المناسبة والمماثلة فهذه المحبات بالتفاضل
الذي يكون لعظم المنافع فيجب ان يكرم الرجل كرامة
ابويه ويكرم السلطان كرامة سلطانية ويكرم الناس
بعضهم بعضا كرامة اخوية ولكل مرتبة وحقه
المراتب استهال خاص به واستحقاق وجب له
فاذا لم يحفظ بالعدالة زاد ونقص وعرض لها
الفساد فانتقلت الرياسات وانعكست الامور
فعرض لرياسة الملك ان تنتقل الى رياسة التغلب

وتبع ذلك ان تنتقل محبة الرعية الى البغض
وعرض كراسات من دونه مثل ذلك فيصير
محبة بعضهم اخيارا الى تباغض الاشرار وتعود الالفة
نفارا ويطلب كل واحد لنفسه ما يظنه خيرا له
وان اضر بغيره وتبطل الصداقات والخير المشترك
بين الناس وتعود الامر الى الهرج الذي هو ضد
النظام الذي رتبه الله خلقه ورسمه بالشريعة واوجبه
بالحكمة البالغة فاما المحبة التي لا يشوبها الانفعالات
والاغراض فهي محبة العبد لخالقه عز وجل
فانها الاخلص للعالم الرباني وحده خاصة والسبيل الغير
اليها الا بالدعوة الكاذبة وكيف يجد الانسان السبيل
الى محبة من لا يعرفه ولا يعرف ضروب انعامه الدالة عليه
ووجوه احسانه المتصلة به في نفسه وبدنه

اللهم الا ان تصور في نفسه صنما ويظنه الخالق تعالى
عما يظنه المبطلون فيحبه ويعبده فان اكثر الناس
كما قال الله عز وجل وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
ولعمري انا نرى العامة تدعي المعرفة والمحبة وهم
يتصورون اشخاصا وشبحا فيكون عبادتهم اياه
من حدود الله وهذا هو الضلال البعيد ومدعي
هذه المحبة لله كثير جدا والمحققون منهم قليل جدا
بل هم اقل من القليل وهذه المحبة متصل بها الطاعة
والتعظيم وتيلها ويقرب منها محبة الوالدين واكرامها
وطاعتها وليس يتفق الى محبتها شيء من المحبات الاخر
الا محبة الحكماء عند اليأس فانها متوسطة
بين المحبة الاولى والمحبة الثانية وذلك ان المحبة الاولى
لا يبلغها شيء من النعم اعني الالهية كما ان اسبابها

لا يبلغها شيء من الاسباب والنعم التي من قبلها
لا يشبهها شيء من النعم واما المحبة الثانية فهي محبة
منا لان سببها هو السبب الثاني في وجودنا الحسي
اعني ابداننا وكوننا فاما المحبة الثالثة اعني محبة
الحكماء فهي اشرف واكثر من محبة الوالدين لان
شرفهم ومرتبتهم يكون من اجل ترتبتهم هي لنفوسنا
وهم اسباب في وجودنا الحقيقي فبهم وصلنا الى السعادة
الباقية فليس يبلغ احد جزءا يسيرا من الاول ولا ما
يستاهله الثاني وان اجتهد وبالغ ولا يؤدي حقوقها
ابدا وان خدم باقصى طاقته وغاية وسعه فاما محبة
طالبي الحكمة للحكيم والتلميذ الصالح للمعلم الخير فانها
من جنس المحبة الاولى وطريقها وطلب رضا الجليل
العظيم الذي يشرف عليه ويصل اليه والرجاء الكريم

الذى لا يحق الا بعنايته ولا يتم الا بمطالعته
ولانه والد روحانى ورب بشرى واحسانه احسان
الهى وذلك انه يربيه بالفضله التامه ويغذوه
بالحكمه البالغه ويسوقه الى الحيوة الابديه فى النعم
السرمدى وذلك انه هو السبب فى وجودنا العقلى
وهو المزكى لنفوسنا الروحانيه فبحسب فضل النفس على
البدن وجب ان يفضل المنعم بهذا على المنعم بذاك
وبقدر فضل النفس على البدن يكون فضل الالهيه
ولما كان فضلها عليه بفضل الالهيه على الالهيه
فبحق ما يحب التلميذ معلم الحكمه محبه خالصه شبيها
بالمحبه الاولى واذا كانت هذه المحبه من جنس تلك المحبه
فالطاعه له من جنس تلك الطاعه ثم كان سبب هاتين
النعمتين جميعا ومعرضها لهما وسابقنا اليهما والى جميع

النعم هو السبب الاول الذى هو سبب الحيوة كلها
وجب ان يكون محبتنا له فى اعلى مراتب المحبات
وكذلك طاعتنا له وتعبدنا اياه ونحن على عرفنا
هذه المنزله من الجلاله ان نعرف مراتب المحبات
وما يستحقه كل واحد صاحبه حتى لا ينزل كرامة
الوالد الرئيس الاجنبى والكرامة الصديق للسلطان
والكرامة الولد المعشر والكرامة الام للاب فان
لكل واحد من هؤلاء واشباههم صنفا من الكرامة
وحقا من الحق ليس للآخر ومن خلط فى هذا اضطرب
وفسد وحدث الملامات والاذاء فى كل واحد منهم
حقه وقسط من الخدمه والمحبه والنصيحه كان
عادلا ولو جبت له محبته وعدالته فى محبته على صاحبه
ومعاملته وكذلك يجب ان يجرى الامر فى حق الله تعالى

واخلطا والمعاشرين في توفية حقوقهم واعطائهم
ما هو خاص لهم ومن غش المحبة والصداقة كان
اسوء حالا ممن غش الدرهم والدينار فان الحكم
بكون المحبة المغشوشة تحل سريعا وتفسد سريعا
كما ان الدرهم والدينار اذا كانا مغشوشين
فسد اسرعا وهذا واجب في جميع انواع المحاب
وان لك يتعاطى العاقل نمطا واحدا ويلزم مذهبا
واحدا في ارادة الخير ويفعل جميع ما يفعله
من اجل ذاته ويرى خيرا عند غيره كما يراه عند نفسه
فاما صديقه فقد قلنا انه هو هو الا انه غيره
بالشخص واما سائر محابه وصعارفه فانه يسلك
بهم مسلك اصدقائه وكانه مجتهد في ان يبلغ بهم
وفيهم منازل الاصدقاء بالحقيقه وان كان لا يمكن

ذلك في جميعهم فهذا سيرة الرجل الخير في نفسه
وروساءه واهله وعشرته وولده
واصدقائه وسلطانه واما الشرير فانه
يهرب من هذه السيرة وينفر منها لرداءة الهيئة
التي حصلت له ولمحبة البطالة والتكاسل
عن معرفة الخير والتمييز بينه وبين الشر وما هو
مظنون عند خيرا وليس بخير ومن كان على
هذه الحال من الشر ورداءة الهيئة كانت افعاله
كلها رديئة وذاته رديئة وهو كائن ذاته
رديئة هرب من ذاته لان الرداءة معه
منها واضطر الى مصاحبة قوم مناسبونه
ليفنى عمره معهم ويشغل بهم عن عذابه وما يجد فيها
من الاضطراب والقلق وذلك ان هؤلاء

الاشرار اذا خلوا بانفسهم ذكروا افعالهم الرديه
وهاجت بهم القوى المتضاده الى تدعوهم
الى ارتكاب الشرور المتضاده فيتالمون
من ذاتهم وتتشاعب نفوسهم انواع الشعب
وتجذبهم القوى الى فنهم وهى التى لم يرضوها
بالادب الحقيقى الى جهات مختلفه من اللذات
الرديه وطلب الكرامات التى لم يستحقوها
والشهوات الرديه التى تهلكهم سريعا فاذا جذبتهم
هذه القوى الى جهات مختلفه احدثت فيهم
آلاما كثيره لانه ليس يمكن ان يفرح ويحزن معا
ويرضى ويسخط فى حال واحده والتئم له ان
تجذب الى جهات مختلفه بحركه واحده ولا يستطيع
ان تؤلف من الاضداد حتى يجتمع له فهو شقاوه

الرد

يهرب من ذاته لانها رديه فاسده متالمه كثيره
الشعب عليه وليتمس لعشيره ومخالطه من هو
مثله او اسوا حالا منه فيجد فى الوقت راحه
به ويسكنوا الله لاجل المشاكله ثم يعود بعده
قليل وبالاعلم وزهاده على خياله وفساده
فالم به وهرب منه فليس له صحب ولا دابه
ولا نصيح ولا يحصل الا على الندامه ولا
يرجع الا على الشقوه فاما الرجل الخير الفاضل
فان سيرته جيده محبوبه فهو يحب ذاته
وافعاله ويسر نفسه ويسره غيره ايضا
ويختار كل انسان مواصلته ومخالطته ومصادقته
فهو صديق نفسه والناس اصدقاوه وليس يضاد
الا الشرير فقط ويعرض لمن هذه سيرته ان

أن يحسن الى غيره بقصد وبغير قصد وذلك
ان افعاله الذى محبوبة واللذيذ المحبوب
مطلوب مختار فيكثر المقبلون عنه والمحفوف به
والآخذون عنه وهذا هو الاحسان الذاتى
الذى يبقى ولا ينقطع ويتزيد على الايام ولا
ينقص فاما الاحسان العرضى الذى ليس بحاقى
ولا هو سبب لصاحبه فانه ينقطع ويلحق فيه
اللوم والمحبة التى تعرض منه يلحق المحبات اللواحق
ولذلك يوصى صاحبه بتربيته فيقال له تربية
الصنعة اصعب من ابتدائها والمحبة التى تحدث
بين المحسن والمحسن اليه اشد من المحسن اليه
للمحسن واستدل ارسطوطالس على ذلك بان المقرض
وصانع المعروف يهتم كل واحد منهما بمن اقرضه

واصطنع

واصطنع المعروف عنده ويتعاهدانها ويحبان
سلامتها اما المقرض هو بما اراد سلامة المقرض
لمكان الاخذ لمكان المحبة اعنى انه يدعوا
بالسلامة له والبقاء وسبوغ النعمة والكفاية
من كل وجه ليصل الى حقه فاما المقرض
فليس يعنى كثير عنايه بالمقرض ولا يهوى له
بهذه الدعوات فاما مصطنع المعروف
فانه باحق الواجب يود الى الذى يصطنع اليه
معروفه وان لم ينتظر منه منفعة وذلك ان
كل صانع فعل جيد محمود يحب مصنوعه فاذا
كان المصنوع مستقيما يجب ان يكون محمودا
فى الغاية فقد تبين ان محبة المحسن اشد من
محبة المحسن اليه فاما المحسن اليه وشهوته للاحسان

انه من شهوة المحسن وايضا فان
المكسبة بالاحسان المرباة
على طول الزمان يجري مجرى القسمات التي
تتعب تحصيلها وما اكتسب منها على سبيل
التعب والنصب يكون المحبة له اشد والضن
به اكثر وحرص على ما وصل به الى المال بغير تعب
لم يكثرث له ولم يشح عليه وبذله في غير موضعه
كما يفعل الوارث ومن يجري مجراهم فانه من
وصل اليه بتعب وسافر في طلبه وشقي بجمعه
فانه لا محالة يكون شديد الضن به والمحبة له
ولهذه العلة صارت الام اكثر محبة للولد
من الاب ويعرض لها من الحنين والوله اضعاف
ما يعرض للاب وبهذا النوع من المحبة يحب

الشاعر

الشاعر شعره ويعجب اكثر من اعجاب غيره
به وكل فاعل فعل فعلا يتعجب
فعله ذاك وايضا فان المنفعل لا يتعجب
كتعجب الفاعل والآخذ منفعل والمعطي
فاعل فمن هذه الوجوه تبين ان من يصطنع
المعروف يحب من احسن اليه حبا شديدا
وعلل الناس من يصطنع المعروف لاجل الخير
نفسه ومنهم من يصنعه لاجل الذكر الجميل
ومنهم من يصنعه رياء فقط ومن البين ان
اعلاهم مرتبة من صنعه لذاته اعني لذات الخير
وصاحب هذه المرتبة لا يعدم الذكر الجميل
والثناء الباقي ومحبة من لم يصطنع المعروف
عنده وان لم يقصد ذلك بفعله وايته

ولما حكمنا فيما تقدم حكما مقبولا لا يردّه احد
وهو ان كل انسان يحبّ نفسه وكانت هذه
المحبه لامحاله تنقسم بالاقسام اللتة التي ذكرناها
اعني اللذّ والنافع والخير وجب من ذلك
ان يكون من لم يميّز بين هذه الاقسام حتى يعرف
الافضل فالافضل منها لا يدري كيف
يحسن الى نفسه التي هي محبوبته فمع في ضروب
من الخطا لجهله بالخير الحقيقي ولذلك صار
بعض الناس يختار لنفسه افضل سيرة اللذّ
وبعضهم سيرة الكرامة والنافع لانهم لا يعرفون
ما هو افضل منها فاما من عرف سيرة الخير
وعلو مرتبته فهو لامحاله يختار لنفسه افضل
السير واكرم الخيرات فلا يوثر اللذ البهيمه

ولا اللذات الكارجه عن عرفه فانها عرضيه
كلها ومستحيلة وتخيله لكنه يختار لها اتمّ
الخيرات واعلاها واعظمها وهو الخير الذي
لها بالذات اعني الذي ليس بخارج عنها وهو
الذي ينسب الى جوهره الالهي ومسار ربهذه
السيرة واختار النفس فقد احسن اليها
وانزلها في الشرف الاعلى واهلها القبول
الفيض الالهي واللذ الجسمانيه التي لا تفارقه
ابدا واذا كان هذا الحال فهو لامحاله يفعل
سائر الخيرات الاخر وينفع غيره ببذل الاموال
والسماحة بجميع ما يتشاح الناس عليه ويخصّ
اصدقاءه من ذلك بكل ما يضيق عنه ذرع اكثر
السير الباقية فصيره عطاء عند كل احد واسيما

عند جميع الناس وايضا فقد بيّنا فيما تقدّم ان
الانسان مدنيّ بالطبع وشرحنا معنى المدنى
فاذن الواجب ما يكون تمام سعادة الانسانيه
عند اصدقائه وكل كان تمامه عند غيره ممن
المحال ان يصل مع الواحد والتفرّد الى سعادته
التامّه فالسعداء اذن من اكتسب الاصدقاء
واجتهد فى نيل الخيرات لهم ليكتسب بهم ما
لا يقدر ان يكتسب بذاته فيلتذّ بهم ايام حوته
ويلتذّون ايضا به وقد شرحنا حال هذه اللذّة
وانها باقية الهيّة غير منحلّة ولا متغيّرة وهو آء
فى جملة الناس والجمهور منهم قليل جدّا فاما اصحاب
اللذات البهيميّة والباطلة فانها كثيرة جدّا وقد يكتفى
من هو آء باقلّ كالاباذر فى الطعام

الما

وكالملح خاصّة واما الصديق الاول الذى وصفناه
فلا يمكن ان يكون كثير العدد لانه محبوب بالافراط
وافراط المحبّة لا يصحّ ولا يتمّ الّا لواحد فاما
حسن العشرة وكرم اللقآء والسعى لكل احد
يسرّ الصديق الحقيقىّ فمبذول لاجل طلب
الفضيلة وانا قد قلنا فيما تقدّم ان الرجل
الخيّر الفاضل يسلك فى عشر معارفه مسلك
الصديق وان لم يتمّ له الصداقة الحقيقيّة
فهم وارسطوطاليس يقول ان الانسان يحتاج الى
الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال الحاجة
اليه فى كلتا الحالتين وحلك انه عند سوء الحال
يحتاج الى معونة الصدقاء وعند حسن الحال
يحتاج الى الموانسة والى من يحسن اليه ولعمرى

ان الملك العظيم يحتاج الى من يصطنعه ويصنع
اليه احسانه عند كما ان الفقير من الناس يحتاج الى
صديق يصطنعه ويصنع عند المعروف
قال ومن اجل فضيلة الصدقة تشارك الناس
بعضهم بعضا ويتعاشرون عشرة جميلة
ويداعب بعضهم بعضا ويجتمعون في الرياضات
والصيد والدعوات واما سقراطيس فانه قال
هذه الالفاظ اني لا اكثر التعجب ممن يعلم اولاده
اخبار الملوك ووقايع بعضهم بعض وذكر الحروب
والضغائن ومن انتقم او توثب على صاحبه
ولا يخطر بباله امر المودة وسير احاديث الالفة
وما يحصل من الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة
والانس وانه لن يستطيع احد من الناس ان يعيش

بغير المودة وان نالت اليه الدنيا بجميع رعايتها
فان ظن احد ان امر المودة صغير فالصغير
من ظن ذلك وان قدر انه موجود بين الحطب
يدرك بالهوينا فما اصعبه وما اعز وجود
صداقة توثق بالبلوى ثم قال لكني اعتقد واقول
ان قدر المودة وخطرها عندي اعظم من جميع
كنوز قارون ومن ذخاير الملوك قاطبة
ومن جميع ما يتنافس فيه اهل الارض من الجواهر
وما يحويه الدنيا برا وبحرا ولا يعدل جميع ذلك
ما اختزنه لنفسي من فضيلة المودة وذلك ان
جميع ما احصيته لا ينفع صاحبه اذا حلت به
لوعة مصيبة في صديقه ولا يقوم له جميع ما
في الارض مقام صديق يثق به في مهم ليعاونه عليه

وسعادة عاجلة او آجلة تتم لهم فطوبى لمن
اوتى هذه النعمة العظمة وهو حلو السلطان
واعظم الطوبى لمن اوتيه في سلطان وذلك
ان من لا شر امور الرعية واراد ان يعرف احوالهم
وينظر في امورهم حق النظر ان يكفيه اذنان
ولا عينان ولا قلب واحد فان وجد اخوانا
ذوي ثقة وجب بهم عيونا واذانا وقلوبا كانها
باجمعها له فقرب عليه الطرف واطلع مراد من
امر على اقصاه ورأى الغائب بصورة الشاهد
فاني يوجد هذه الفضيلة الا عند الصديق
الصدوق وكيف يطمع فيها عند فهو واذ قد
عرفنا هذه النعمة الجليلة الخطيرة فقد وجب
علينا ان ننظر كيف نقتنيها ومن اين نطلبها

واذا تحصلت لنا كيف نحفظ بها لئلا تصيبنا
فيها ما اصاب الرجل الذي ضرب به المثل حين
طلب شاة سمينة فوجدها وارمة فاغتر بها وظن
انها ورم سمنا فاخذ الشاعر يقول

اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

لا سيما وقد علمنا ان الانسان من بين جميع الحيوان
يتصنع كيف يظهر للناس منه ما لا حقيقة له فيدل
ما له وهو بخيل ليقال له هو جواد ويتلئم
في بعض المواطن على بعض المحاوف ليقال
انه شجاع واما سائر الحيوان فان اخلاقها ظاهرة
للناس من اول الامر لا يتصنع فيها وكذلك
يكون حال من لم يعرف الخسائس فانها تشبه
في عينه حتى ربما تناول فيها شيأ وهو يظنه حلوا

فاذا طعمه وجد مرّا وربّما ظنّه عذاءً فيكون سمّا
فينبغي ان يحذر ركوب الخطر في تحصيل هذه النعمة
الجليلة حتى لا يقع في صدّ المموّهين الخدّاعين
الذين يتصوّرون لنا بصور الفضلاء الاخيار
فاذا خالطونا في شباكهم افترسونا بانفتهس
السباع اكلتنا والطريق الى السلامة من
هذا الخطر بحسب ما اخذناه عن سقراط ان
اردنا ان نستفيد صديقا ان نسأل عنه كيف
كان في صباه مع والديه ومع اخوانه وعشيرته
فان كان صالحا معهم فارجوا الصلاح منه
والّا فابعد عنه واياك واياه قال ثم اعرف
بعد ذلك سيرته مع اصدقائه فلان فاضفها
الى سيرته مع اخوانه وآبائه ثم اتبع امره في

شكر من يجب عليه شكره او كفر بالنعمة
ولست اعني بالشكر المكافاة التي ربما عجز
عنها بالفعل ولكن ربما عطل نيّته في الشكر
فلا يكافي بما يستطيع وبما تقدر عليه ويغتنم
الجمل الذي يسدي اليه ويراه حقّا له
او يكاسل عن شكره باللسان وليس احد
يتعذّر عليه ذكر النعم التي تتولّاه والثناء
على صاحبه وبها اعتداده له بها وليس شيء اشدّ
اجتلابا للنعمة من الكفر وحسبك ما اعدّ
الله للكافر نعمته من النقم مع تعاليه
عن الاستضرار بالكفر ولا شيء اجلب للنعمة
ولا اشدّ سببا لها من الشكر وحسبك ما وعد
الله به الشاكرين مع استغنائه عن الشكر فعرف

هذا الخلق ممن يريد مواخاته واحذر ان تبتلى بالكفور
من النعم المستحقة لايادي الاخوان واحسان
السلطان ثم انظر ميله الى الراحات وبواطنه
عن الحركات الى ما فيها ادنى نصب فان هذا
خلق ردي تتبعه الميل الى اللذات فيكون سببا
للتقاعد عما يجب عليه من الحقوق ثم انظر
نظرا شافيا في محبة الذهب والفضة
واستنهان بجمعها وحرصه عليهما فان كثيرا
من المعاشر يظاهرون بالمحبة ويتهادون
ويتناصحون فاذا وقعت بينهم معاملة في هذين
الجوهرين هر بعضهم على بعض هرير الكلاب
وخرجوا الى ضروب العداوات ثم انظر في
محبته للرياسة والتفرط فان مراحب الغلبة والتراس

وان يفرط لا ينصفك في المودة ولا يرضى منك
بمثل ما يعطيك ويحمله الخيلاء والتيه
على الاستهانة باصدقائه وطلب الترفع عليهم
وليس يتم مع ذلك مودة ولا اغبطة ولا بد
من ان يؤول الحال به معهم الى العداوات
والاحقاد والاضغان الكثيرة ثم انظر هل هو
ممن يستهتر بالغناء واللحون وضروب اللهو
واللعب وسماع الملهون والمضاحك فان كان
كذلك فما اشغله عن مساعدات اخوانه
وصواساتهم وما اشد هربه عن مكافاة باحسان
واحمال النصب في حول تحصيل فيه مشقة
فان كان يرى ما ذهب الحلال فليحفظ به وليرغب
فيه وليكتف بواحد ان وجد فان الكمال عن

واضعافا فان من كثر اصدقاؤه لم يف بحقوقهم
واضطر في الاغضاء عن بعض ما يجب عليه
والتقصير في بعض وربما ترادفت عليه احوال
متضادة اعني ان يدعوه مساعدة صديق
ان يسر بسرور ومساعدة آخر ان يغتم بغمه
وان يسعى بسعي واحد ويقعد بقعود آخر
مع احوال يشبه هذا كيف يخلفه ولا ينبغي
ان يحملك ما خصصتك عليه وطلب الفضائل
فمن يصادقه على تتبع صغار عيوبه فيصيره ذلك
الى ان لا يسلم لك احد وتبقى خلوا من الصديق
بل يجب ان تغضي عن المعايب اليسيرة الى لا يسلم
من مثلها بشر وتسطر ما يجب في نفسك من عيب
فتحمله مثل عرضك واحذر عداوة من صادقته

او خالطته محالطة الصديق واسمع قول الشاعر
عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب
فلذلك يجب عليك متى حصل لك صديق
ان يكثر مراعاته ويبالغ في تفقده ولا تستهين
باليسير حصه عندهم يعرض له او حادث
تحدث به فاما في اوقات الرخاء فينبغي ان تلقاه
بالوجه الطلق واكمل الرحب وان يظهر له
في وجهك وحركتك وبشاشتك وارتياحك
عن مشاهدته اكمل ما يزداد به في كل يوم وفي
كل حال ثقة بمودتك وسكونا الى عينك
وترى السرور في جميع اعضائك الى يظهر السرور
فيها فاذا لقيك فان التحفي الشديد عند طلعة الصديق

لا يخفى وسرور السكل بالسكل امر غير مشكل
ثم ينبغي ان تفعل مثل ذلك بمن يعلم انه يوثره
ويحبه من صديق او ولد او تابع او حاشية
وتثني عليهم وغير اسماء تخرج بك الى الملق
الذي يمقتك عليه ويظهر له منك تكلف
فيه واتهم لك ذلك اذا توخيت الصدق
في كل ما تبني عليه والزم هذه الطريقة حتى لا تقع
منك تواني فيها بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال
فان ذلك يكسب المحبة الخاصة ويكسب الثقة التامة
ويفيدك محبة الغرباء من لا تعرفه له بك وكان
الحمام اذا الف سوقا واس بجالستنا وطاف
حلب اشكاله وامثاله فكذلك حال الانسان
اذا عرفنا واختلط بنا اختلاط الراغب فينا

للانس بنا بل يزيد على الحيوان غير الناطق بحس الوصف
وجميل الثناء وبشر المحاسن واعلم ان مشاركه
الصديق في السراء اذا كنت فيها وان كانت
واجبة عليك حتى لا تستأثر بها والحص على
منها فان مشاركته في الضراء اذا لحقته اوجب
وموقعها عند اعظم فانظر عند ذلك اذا اصابته
نكبة او لحقته مصيبة وغث به الدهر كيف يكون
مواساتك له بنفسك ومالك وكف يظهر له
تفقدك ومراعاتك ولا تنتظر به ان يسألك
تصريحا او تعريضا بل اطلع على قلبه واسبق الى
نفسه وشاركه في مضض ما لحقه ليخف عنه
وان بلغت مرتبته من السلطان والغنى فاغتنم
اخوانك فيها من غير احسان ولا تطاول وان

رايت من بعضهم نبوة عنك او نقصانا
مما عهدته فداخله زيادة مداخله واخلط به
واجتنبه كل الجنب فانك ان ايفت من ذلك او
يداخلك شيء من الكبر والصلف عليهم انتقض
حبل المودة ونكثت قوته ومع ذلك فلست
تامن ان يزول عنك فستحمى منهم وتضطر
الى قطيعتهم حتى لا تنظر اليهم ثم حافظ على هذه
الشرايط بالمداومة عليها لتبقى المودة على حال واحدة
وليس هذا الشرط خاصا بالمودة بل هو شرط
في كل ما تحصل اعني ان ملكك وملبوسك
ومنزلك متى لم تراعها مراعاة متصلة فسدت
وانتقصت فاذا كانت صون حايطك وسطوحك
كذلك ومتى غفلت او توانيت لم تامن نقوضه

وتهدمه كيف تريد ان تجمع من ترجوه
في كل خير وتشطر مشاركته في السراء والضراء
ومع ذلك فان ضرره يلحق بمنفعته واحدة
فاما صدقك فوجوه الضرر التي يدخل عليك
بخيانته وانتقاض مودته كثيرة عظيمة وذلك
انه ينقلب عدوا ويتحول منافعه مضارا
فلا تامن عداوته مع عدمك الرغائب
والمنافع به وسقطع رجاءك مما لا تجد منه خلفا
ولا تستفيد عنه عوضا وبدلا ولا يسلم
شيء واذا رعيت شروطه وحفظت حقوقه
ثم لزمها بالمداومة امنت جميع ذلك ثم احذر
المراءاة معه خاصة وان كان واجبا ان تحذره
مع كل احد فان مماراة الصديق تقطع المودة

من اصلها لانها سبب الاختلاف وبراختلاف
سبب كل شر وهو الذي هربنا منه الى صلة
وفحصنا اثره واخبرنا عليه الا لفه الى طلبناها
واتينا عليها وعلمنا ان الله عز وجل دعا الها بالبدعة
القومه واني لاعرف من يؤثر المراء ويزعم
انه يقدح خاطره وليشحذ ذهنه ويثير سلوكه
فهو يتعمد في المحافل الى تجمع رؤسا اهل النظر
ومتعاطي العلوم فمارأه صدقه ويخرج في كلامه
عنه الى الفاظ الجهال من العامة وسقاطهم
ليندفي خجل صديقه وليظهر للحاضرين انقطاعه
ويحله وليس يفعل ذلك عند خلوته به ومذاكرته له
وانما يفعله حيث يظن به انه ادق نظرا او احضر
واغزر علما واحد قريحة فاكذب اشبهه الا باهل

البغي وجاهة اصحاب الاموال والمشبهين بهم
من اهل البذخ فان هؤلاء يستحقر بعضهم
بعضا والرجل يصغر بصاحبه ويزهى على مروءته
ويتطلب عيوبه ويتبع عثراته ويبالغ كل واحد
فيما يقدر عليه من مساءة صاحبه حتى يادي بهم
الحال الى العداوة التامة التي يكون معها السعاية
وازالة النعم ويجاوز ذلك الى سفك الدم وانواع
الشرور فكيف يثبت مع المراء محبة او يرجى
الفة ثم احذر في صديقك ان كان متحققا
بعلم او متحليا بادب ان يحل عليه بذاك الفن
او يرى فلتة انك تحب الاستبداد دونه وبرأيه
عليه فان اهل العلم الا ترى بعضهم في بعض ما يراه
اهل الدنيا بينهم وذلك ان متاع الدنيا قليل

فاذا ترحم عليه قوم ثلم بعضهم حال بعض
ونقص حظ كل واحد من حظ الآخر
فاما العلم فانه بالضد وليس احد ينقص منه
ما ياخذ غيره منه بل يزكوا على النفقة
ويربوا مع الصدقة ويزيد على الانفاق
وكثر الخرج فاذا بخل صاحب علم بعلمه فانما
ذلك منه لاحوال فيه كلها قبيحة وهي انه اما
ان يكون قليل البضاعة منه فهو يخاف ان نفنى
ما عنده او يرد عليه ما لا يعرفه فيهول تسوقه
عند الجهال واما ان يكون مكتسبا به
فهو يخشى ان يضيع مكسبه به وينقص
حظه منه واما ان يكون حسودا والحسود
بعيد من كل فضيلة لا يوده احد واني

لاعرف من لا يرضى بان يبخل بعلم نفسه
حتى يبخل بعلم غيره ويكثر عتبه ويتسخط
على من يفيد غيره من التلامذة المستحقين لفائدة
العلم وما اكثر ما يتوصل الى اخذ الكتب
من اصحابها ثم يمنعهم منها وهذا خلق لا يبقي معه
مودة بل يجلب الى صاحبه عداوات لا يحسبها
ويحسم اطماع اصدقائه من صداقته ثم احدهم
ان ينبسط اصحابك ويتخلوا بك من اتباعك
او يحمل احدهم على ذكر شيء في نفسه والا يترخص
في عيب شيء يتصل به فضلا عن عيبه والا يطعن
احد في ذلك من اولئك اسبابك والمتصلين
بك جدا والا هزأ او كيف يحتمل ذلك فيه وانت عنده
وقلبه وخليفته على الناس كلهم بل انه هو هو

فانه ان بلغه شيء مما جذبك منه لم يشك
أن ذلك كان عن رايك وهواك فانقلب
عدوا ونفر عنك نفور الضد فان عرفت
منه انه عيبا فوافقه عليه موافقة
لطيفة ليس فيها غلظة فان الطبيب الرفيق ربما
بلغ بالدواء اللطيف ما بلغه غيره بالشق
والقطع والكي بل ربما توصل الغذاء الى الشفاء
والكفي به عن المعالجة بالدواء ولست احب
ان يعفى عما تعرفه في صديقك وان تترك موافقته
عليه بهذا الضرب من الموافقة فان ذلك
خيانة منك ومداهنة فما يعود ضرره عليه
وليس من حق الصديق ان يعرف ويبذل لعيون
الاضداد حتى يعتبوه ويثلبوه ثم اخذ النميمة

وسماعها وذلك ان لا تريد خلوص سر الاخبار
في صدور الصلحاء النصحاء فيوهمونهم النصيحة
ويقولون انهم في عرض الاحاديث اللذيذة
اخبارا صدقا بهم محرفة مموهة حتى اذا تجاسروا
عليهم بالحديث المخلوط نصحوا لهم بما يفسد
مودتهم ويشوه وجوه صداقاتهم الى ان بغض
بعضهم بعضا وللقد مارس في هذا المعنى كتب
مولفة يحذرون فيها من النميمة ويشبهون صوت
النمام بمن يحك باظافير اصول البنيان
القوية حتى يوثر فيها ثم لا يزال يزيد ومعن
حتى يدخل فيه المعول فيقلعه من اصله فيقتلها
ويضربون له الامثال الكثيرة الشبيهة كحديث
الثور مع الاسد في كتاب كليلة ودمنة وبحن

نكتفي بهذا القدر من الايماء ليلا نخرج عن رسم
كتابنا وعما بيناه عليه مذهبنا من ايجاز مع شرح
ولست اتزل مع الايجاز واختصار تعظيم هذا
الباب ونكرين عليك لتعلم ان القدماء انما القوا
فيه الكتب وضربوا له الامثال واكثروا فيه من الوصايا
لما رأوه من النفع العظيم عند اسماع من الاخبار
ولما خافوه من الضرر الكبير على من لم يستهن به
من الاعمار ولتعلم ان المثل المضروب
في السباع القويه اذ دخل الثعلب الخداع
على ضعفه فاهلكها ودمر عليها وفي الملوك الحصفاء
يدخل بينهم اهل النميمة في صور المنصحين
يفسدون انياتهم على وزرائهم المبالغين في نصيحتهم
المجتهدين في تثبيت ملكهم الى ان يتسلطوا عليهم

ويصرفوا عيونهم عنهم ويصيبوا من محبتهم
وايثارهم آباءهم على اولادهم الى ان لا يملوا عيونهم
منهم والى ان يسطوا بهم قتلا وتعذيبا
وبم غير هذين والاجتهمن والاستحثين
الا الكراهة والاحسان اذا بلغ بهم من الفساد
والاضرار ما بلغه من هو آء فلم بالحري
ان يبلغ منا اذا لم نجده في اصدقائنا
الذين اخترناهم على الايام واذخرناهم
للشدايد واحللناهم محل اروحنا وزهرناهم
تفضلا واكراما وتبين لك من جمع ما قدمناه
ان الصداقة واصناف المحبات التي يتم بها
سعادة الانسان من حيث هو مدني بالطبع
انما اختلفت ودخل فيها الفساد وزال عنها

معنى التاحد وعرضها الانتشار حتى احتجنا
الى حفظها بالتعب الكثير نظامها لاجل النقصان
الكثير الذى فيها وحاجتنا الى تمامها مع الحوادث
التى تعرض لها من الكون والفساد فان الفضائل
انما وضعت من اجل المعاملات والمعاشرات
الى لا يتم الوجود الانسانى الا بها وذلك
ان العدل انما احتيج اليه لتصح المعاملات
وليتناول به معنى الجور الذى هو رذيلة عن
المتعاملين وانما وضعت العفة فضيلة لاجل
اللذات الرديئة التى بحتى الجنايات لعظمه
على النفس والبدن وكذلك السخاوة وضعت
فضيلة من اجل الامور الهايلة التى يجب ان يقدم
الانسان عليها فى بعض الاوقات ولا يهرب منها

وعلى هذا جمع الاحوال المرضية التى وصفناها
وخصصنا على اقتنائها وايضا فان جمع هذه
الفضائل يحتاج الى اسباب خارجة عنها والى
افعال كثيرة الفنون لعنى ان الحر يحتاج الى
اسباب خارجة من الاحوال والى اكتسابها
من وجوه لا يمكنه ان يفعل بها فعل الاحرار
والعادل يحتاج الى مثل ذلك الجازى من عاشره
بجميل ومكافى من عامله باحسان وجميعها
لا يقوم الا بالابدان وبرانفس وما هو خارج
عنها على حسب تقسيمنا السعادات فمامضى
وكلما كانت الحاجات اكثر احتيج فيها الى المواد
الخارجة عنا اكثر فهذه حال السعادة البشرية
التى لا تتم الا بالافعال البدنية وبالاحوال المدنية

بالاعوان الصالحين وبراصدة المخلصين
وهي كثيرة والتعب بها عظيم ومن قصر
عنها قصرت به السعادة الخاصة به ولذلك
صار الكسل ومحبة الراحة من اعظم الرذايل
لانهما يحولان بين المرء وبين جمع الخيرات
والفضايل ويسلخان الانسان من الانسانية
ولذلك فمنا المتوسم من الزهد اذا تفردوا
عن الناس وسكنوا الجبال والمغارات واختاروا
التوحش الذي هو ضد التمدن لانهم ينسلخون
عن جمع الفضايل الخلقية التي عددناها كلها
وكيف يعفى ويعدل ويسخو ويشجع من فارق
الناس وتفرد عنهم وعدم الفضايل الخلقية
وهل هو الا بمنزلة الجماد والميت فاما

محبة الحكمة والانصراف الى التصور العقلي
واستعمال الآراء الالهية فانها خاصة بالجزء
الالهي من الناس وليس يعرض لها شيء من الآفات
التي تعرض للمحبات الاخر الخلقية ولا يلحقها
ضروب من الفساد ولذلك قلما انها الاقبل
النميمة والنوع من انواع الشرور لانها الخير الاول
المحض وسببها ذلك الخير الاول الذي يشوبه
مادة والحقه الشرور التي في المادة وما دام
الانسان يستعمل الاخلاق والفضايل الانسانية
فانها تعوقه عن هذا الخير الاول وهذه السعادة
الالهية ولكن ليس يسلم له هذا الابتلاك
ومن حصل تلك الفضايل نفسه ثم اشتغل
بذاته حقا وتجاهد محاهدات الطبيعة والآلام

ومن مجاهدات النفس وقواها وصارع الارواح
الطيبه واخلط بالملائكه المقربين فاذا انتقل
من وجوده الاول الى وجوده الثاني حصل
في النعم الابدي والسرور السرمدي وقد اطلق
ارسطوطالس جميع هذه الالفاظ وقال ان السعاده
التامه الخالصه هي لله عز وجل ثم للملائكه والمتألهين
ثم قال وانبغي ان نضيف الى الملائكه تلك الفضائل
التي عددناها في سعاده الانسان فانهم ليتعاملون
ولا يكون عند احد منهم وديعه فيحاج الى ردها ولا
لاحد منهم بجانه فيحاج الى العداله ولا يفرغه شئ
فيحاج الى النجده ولا له نفقات فيحاج الى الذهب والفضه
ولا له شهوات فيحاج الى ضبط النفس والى
فضيله العفه ولا هو مركب من الاضطقسات

الاربعه التي بحلل مزاجها فيحاج الى الغذا
فاذن هؤلاء الابرار المطهرون من خلق الله
عز وجل غير محاجين الى الفضائل الانسيه
والله تعالى تقدس وجل وعلا اعلى من ملائكته
فيحق ان تنزهه عن جميع ما ذكرناه من فضائل
الانسان وما اذكر بالخير البسيط الذي يشبهه
وتنسب اليه الامور العقليه التي يليق به فالحق
الواجب الذي لا مريه فيه لا يحبه الا السعد
الخير من الناس الذي يعرف السعاده والخير الحقيقي
فلذلك يتقرب الله بما جهد ويطلب مرضاته
بقدر طاقته ويتقبل افعاله نحو استطاعته
ومن احب الله تعالى هذه المحبه وتقرب اليه
هذا التقرب واطاعه هذه الطاعه احبه الله

وقربه وارضاه واستجوخلته الى اطلقها
المشربه وفي بعض البشر حتى وصل ابرهيم خليل الله
وحبيب الله واما ارسطوطالس فانه اطلق
بعد ذلك ما لعله غير مطلق في لغتنا وذلك انه
قال من احبه الله تعاهد كما يتعاهد اصدقاء
بعضهم بعضا واحسن الله ولذلك يظن
بالحكيم الذات العجمه وضروب الفرح الغريبه
ويرى من يحصل الحكمه انها ملذ غايه الالتذاذ
فلا تليف الى غيرها ولا يعرج على سواها واذا كان
الامر على ما وصفنا فالحكيم السعيد التام الحكمة
هو الله تعالى فليس يحبه الا السعيد الحكيم بالحقيقه
لان الشبيه انما يسر بشبيهه فقط ولذلك
صارت هذه السعادة ارفع واعلى من ملك السعاده

التي ذكرناها وهي غير منسوبه الى الانسان
لانها مهذبه من الحيوة الطبيعيه فمبراه عن
القوى النفسانيه مباينه لجميعها غايه المباينه
وانما هي موهبه الهيه يهبها الباري تعالى
لمن اصطفاه من عباده ثم لمن التمسها منه وسعى
لها سعيها ورغب فيها ولزمها مدى حيوته واحمل
المشقه والتعب فان لم يصبر على ادامة التعب
اشتاق الى اللعب وذلك ان اللعب يشبه الراحه
والراحة ليست من تمام السعادة ولا من اسبابها
وانما يميل الى الراحات البدنيه من كان طبعي
السكل يسمى البهار كالعبد والصبيان والبهائم
وليس ينسب الحيوان غير الناطق ولا الصبيان
والعبد الى السعادة ولا من كان مناسبا لهم

فاما العاقل الفاضل فانه يطلب بهمته
على المراتب، وارسطوطاليس يقول ليس ينبغي
ان يكون همم الانسان انسية وان كان انسانا
ولا يرضى بهمم الحيوان المائت وان كان هو ايضا
مائتا بل يقصد بجمع قواه ان يحيى حيوة الهية
فان المرء انسان وان كان صغير الجثة فانه عظيم
بالحكمة شريف بالعقل والعقل يفوق جميع
الاحوال لانه الجوهر الرئيس المستولي على هذا الكل
بامر مبدعه تعالى جدّه وقد قلنا فيما تقدم ان
الانسان مادام في هذا العالم فانه محتاج الى حسن
الاحوال الخارجة منه ولكن لا ينبغي ان يصرف الى
طلب ذلك بقوته كلها ولا يطلب الاستكثار منه
فقد يصل الى الفضيلة من ليس بكثير المال

والظاهر السيار فان الفقر مع المال ويرى الاكل
قد يفعل الافعال الكريمة ولذلك قال الحكماء
ان السعداء هم الذين رزقوا القوة على الخيرات
الخارجة عنهم وفعلوا الافعال التي تقتضيها
الفضيلة وان كانت فيهم قليلة فهذا كلام
الحكيم وهذه المرتبة التي وعدنا ان الكلام فيها
وهو يقول بعد ذلك ليس في معرفة الفضائل
كفاية بل الكفاية في العمل بها ومن الناس من ينهض
الى الفضائل فينقاد الى الموعظة ويرتفع الى الخبر
وهؤلاء قليلون ومنهم الذين يمتنعون من جميع
الردآآت والشرور وذلك للغني من الجيد
والطبع الفايق ومنهم من ينقاد الى الخيرات حتى
يمتنع من الرذآآت والشرور بالوعيد والقهر

والانذارات من العذاب فيهما من الجحيم
والهاوية وما اعدّ فيها من الآلام ولذلك حكمنا
ان بعض الناس اخيار بالطبع وبعضهم اخيار
بالشرع وبالتعلّم فالشريعة بجرى لهولاء مجرى
الماء للغصان الذي به تسيغ غصّته ومن لا انقاذ
لها فهو كالشوك في الماء ولا يسوغ في الماء ولا يجد
ما يسيغ به غصّته وهو الهالك الذي لا حيلة
فيه ولا طمع في اصلاحه وبرئه ولهذه العلّة
قلنا ان مركّب الطبع خيرًا فاضلًا فذلك
لمحبّة الله اياه وليس امره الينا ولا نحن كنا سببه
بل الله عزّ وجلّ ومثل هذا هو الذي يقول فيه
ارسطوطاليس ان عناية الله به اكثر فيحصل
مما قدّمناه ان اصناف السعداء من الناس اربعة

وهم الموجودون بالصفح والحسّ وذلك انا
نجد من الناس من هو خيّر فاضل من مبدا
كونه يرى فيه النجابة طفلا ويتفرّس فيه الفلاحة
ناشيًا بان يكون حييًا كريم الخيم يؤثر
مجالسة الاخيار وصحبة الفضلاء وينفر
من اضدادهم وليس يكون كذلك الا بعناية
لحقته من اول مولده كاملة ونجد ايضًا من
لا يكون بهذه الصفة من مبدا كونه بل يكون
كسائر الصبيان الا انه يسعى ويجتهد ويطلب الحقّ
اذا راى اختلاف الناس فيه ولا يزال كذلك حتى
يبلغ مرتبة الحكماء اعني ان يصير علمه صحيحًا
وعمله صوابًا وليس يبلغ هذه الدرجة الا بالفلسفة
واطراح العصبيات وسائر ما حذّرناه منه

ونحد ايضا من يوخذ بهذا السبب اخذا
على الكراهة اما بالمذهب الشرعي واما بالتعليم الكلي
ومعلوم ان المطلوب هو القسم الثاني اذ كانت
الاقسام الباقية هي خارجة ولا يمكن ان يطلب
اعني ان يقول في اصل مولد السعادة ومن
يكن عليها ليس من اقسام الطالب المجتهد ويتبين
ايضا مقام الطالب المجتهد ومنزلته من السعادة
التامة الحقيقية وانه وجه من سايرالطبقات
وهو السعد الكامل المتقرب الى الله عز وجل
المحب للطيب المستحق خلته ومحبته كما تقدم وصفه
المقالة السادسة هو نبدي بعون الله
وتاييده نذكر في هذه المقالة شفاء الامراض
التي تلحق نفس الانسان وعلاجاتها ونذكر الاسباب

والعلل التي تولدها وتحدث منها فان حذاق
اطباء الابدان المقدمون على علاج مرض جسماني
الابعد ان يعرفوه ويعرفوا السبب والعلة فيه
ثم يرومون مقابلته باضداده من العلاجات
ويتبينون من مزاج الحمية وبرادوية اللطيفة
الى ان يستووا في بعضها الى استعمال الاغذية
الكريهة والادوية البشعة وفي بعضها الى القطع
بالحديد والكي بالنار ولما كانت النفس قوة الهية
غير جسمانية وكان مع ذلك مستعملة لمزاج خاص
ومربوطة به رباطا طبيعيا الهيا لا يفارق
احدهما صاحبه الا بمشية الخالق عز وعلا
وجب ان يعلم ان احدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره
فيصح بصحته ويمرض بمرضه ونحن نرى ذلك

مشاهدة وعيانا بما يظهر لها من رفعها لهما وحلك
انا كما ترى المريض من جميع بدنه لا سيما ان كان
سبب مرضه احد الجزء من الشريف اعني الدماغ
والقلب يتضرر عقله ويمرض نفسه حتى ينكر
ذهنه وفكره وتخيله وساير قوى نفسه الشريفة
ويحس هو من نفسه بذلك كذلك ايضا نرى
المريض من جميع بدنه اما بالغضب واما بالحزن
واما بالعشق واما بالشهوات الهائجة به يتغير
صوت بدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر
ويحمر ويهزل ويسمن ويلحقه اضرب التغاير
المشاهد بالحس فيجب لذلك ان نفقد
مبدا الامراض اذا كان من نفوسنا فان كان
مبدا هام ذاتها كالفكر في الاشياء الرديئة

واحالة الراى فسادا وكاستشعار الحزن
والخوف من الامور العارضة والمترقبة او الشهوا
الهائجة قصدنا علاجها بما يخصها وان كان
مبدا هام من المزاج او من الجواسر كالخور الذي مبداه
ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهة
وكالعشق الذي مبداه التطرع مع الفراغ والبطالة
قصدنا ايضا علاجه بما يخص هذا وايضا لما كان
طب الابدان ينقسم بالقسمة الاولى قسمين احدهما
حفظ صحتها اذا كانت حاضرة والآخر ردها
اليها اذا كانت غايبة وجب ان ينقسم طب النفوس
هذه القسمة بعينها فردها اذا كانت غايبة
ويتقدم في حفظ صحتها اذا كانت حاضرة
فنقول اذا كانت النفس خيرة فاضلة يحب

تيل الفضايل وتحرص على اصابتها وتشاف
الى العلوم المقدسة والمعارف الصحيحة فيجب على
صنعتها ان يباشر من نفسه ويطهر ويتشاكله
والا يتسرع ولا يجاري سوء اهم ويحذر كل الحذر
من مواضعات اهل الشر والنقص من المجان
والجاهلين اصابة الملات القبيحة وركوب
الفواحش المفتحرين بها المتهاكين فيها والاصغي
الى اخبارهم مستطيبا ولا يروي اشعارهم مستحسنا
ولا يحضر مجالسهم مستهجنا وذلك ان حضور مجالس
واصغاء مجالسهم وسماع خبر واحد من اخبارهم
ورواية بيت واحد من اشعارهم تعلق وضرر
ووسخ بالنفس ما لا يغسل عنه الا بالزمان
الطويل والعلاجات الصعبة وربما كان سببا

لفساد الفاضل المتنسك وغواية العالم المستبصر
حتى يصير فيه كما فضلا عن اكثر الناشئ
والمتعلم المسترشد والعلة في ذلك ان محبة
اللذات البدنية والراحات الجسمية طبيعة
للانسان لاجل النقصانات التي فيه فتحبب الجبلة
الاولى والقطرة السابقة الينا نميل اليها ونحرص
عليها وانما تزم انفسنا عنها بزمام العقل
حتى نقف عند ما يرسم لنا ونقتصر على المقدار الضروري
منها وانما استثنيت في اول هذا الكلام ما استثنيت
وشرطت بما شرطت لان معاشرة الاصدقاء
الذين ذكرت احوالهم في المقالة المتقدمة وحكمت
بتمام السعادة معهم وبهم لا يتم الا بالموانسة
والمداخلة ولا بد في ذلك من المزاج المستعذب

والاحاديث المستطابة والفكاهة المحبوبة
واصابة اللذة التي تطلقها الشريعة ويقدرها
العقل حتى لا يجاوزها الاسراف فيها والتقصير
عنها تاركا لها وذلك ان الخروج الى احد الطرفين
ان كان الى جانب الزيادة سمي مجونا وفسقا وخلاعة
وما اشبهها من اسماء الذم وان كان الى جانب النقصان
سمي فداحة وعبوسا وشكاسة وما اشبهها من اسماء الذم
ايضا والمتوسط بينهما هو الظريف الذي يوصف
بالهشاشة والطلاقة وحسن العشرة ويعرض من
الصعوبة في وجود هذا الوسط ما عرض في
سائر الفضائل الخلقية ومما يؤخذ به من يحفظ
صحة نفسه ان يلتزم وظيفة من الجد النظري
والعملي ويسوغ له الاحتيال بالهزل ليجري النفس

ومجرى الرياضة التي يلتزم في حفظ صحة البدن
فان اطباء النفوس اشد تعطفا لها في حفظ صحة
النفس وذلك ان النفس متى تعطلت من النظر
وعدمت الفكر والغوص على المعاني تبلدت
وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير واذا
الفت الكسل وتبرمت بالروية واختارت العطلة
قرب هذا كله الان في عطلتها هذه انسلاخا من صورتها
الخاصة بها ورجوعا منها الى رتبة البهائم وهذا هو
الانكاس في الخلق نعوذ بالله منه واذا تعود
الحدث الماشي من مبدا كونه الارتياض بالامور الفكرية
ولازم التعاليم الاربعة الف الصدق واحتمل
نقل الروية والنظر وانس بالحق ونبا طبعه
عن الباطل وسمعه عن الكذب فاذا بلغ اشده

الذي الحي عن الكلام
في تقدير خاصة
وقلة فهم الغلط
الاخرق الخالي
عاقل

وانتقل الى مطالعة الحكمة استتمّ طبعه فيها
وشرب ما يستودع منها ولم يرد عليه امرٌ
غريبٌ ولا الجاح الى كتبٍ تعب في فهم غوامضها
واستخراج دفائنها فيصل الى سعادتها
الى ذكرناها سريعا وان كان حافظ هذه الصفة
قد توجّه في العلم وبرع فلا تحملنّه العجب بما عنده
على ترك الازدياد فان العلم ما لا نهاية له وفوق
كل ذي علم عليمٌ وايّاك سلمك الله من عجاوزة ما علمه
وايقنه على سبيل الدهر لك فان النسيان آفة العلم
وليتذكّر قول الحسن البصري رحمه الله عليه
اقتعدوا هذه النفوس فانها طلعة وحادثوها فانها
سريعة التقلّب واعلم ان هذه الكلمات مع قلة حروفها
كثيرة المعنى وهي مع ذلك فصيحة واستوفت
شرط البلاغة وليعلم ايضا حافظ هذه الصفة

انه انما حصل على هذه المرتبة الشريفة جملة وهو بة
لها وكذلك اعطيه مخصوصا فيها وما برح فلا خرج مفرغه عليها
وان من كانت هذه المواهب الجليلة موجودة لها
في ذاته لا يحتاج الى تطلبها من خارج ولا ينبل بالاموال
فيها الغرض ولا يكلف العناء والمؤن الثقال في تحصيلها
ثم عرض عليها واسهل امرها حتى انسلخ عنها وعرى منها
للوم في فعله مفتون في رأيه غير رشيد ولا موفق
لا سيما وهو يرى طالب النعم الخارجة كيف يتحشمون
الاسفار البعيدة الخطر ويقطعون السبل المخوفة
الوعرة ويتعرضون لضروب المكاره وانواع
التلف من السباع العادية وطبقات الاشرار الباغية
وهم يخيبون في اكثر الاحوال مع مقاسات الاهوال
وربما عرضت لهم الدنيات المفرطة والخسران المتعطبة

الى تقطع انفاسهم وينيلّ اعضاءهم فان طفروا
بشيء مرّ مع لبهم كان لامحاله زايلا عن قريب او
معرضا للزوال وغير معدوم في بقايه لانه
من خارج وما كان خارجا عنا فهو غير ممتنع عما
تطرقه من الحوادث التي لا تحصى كثرة وصاحبه
مع هذه الحال شديد الوجل دايم الاسفاف
متعب الجسم والنفس يحفظ ما لا يجدي الى حفظه سبيلا
والحذر على ما يعني فيه الحذر فتلا وان كان
طالب هذه الاشياء الخارجة عنا سلطانا او
صاحب سلطان تضاعف عليه هذه المكاره
اضعافا كثيرة بقدر ما يلابسه وبحسب ما يقاسيه
من الاضداد والحساد على البعد ومن القرب
وتكثر ما يحاج اليه من المؤن في استصلاح من يليه

ويلي من يليه من ذوي الحاجة من يراه ويعاديه
وهو في كل ذلك خائف متعب وجل
مستقصر ومستزيد جميع اهله والمتصلين
ولا سبيل له الى ارضاء واحد منهم فضلا عن
جميعهم ولا ينال بلغه عن اخص الناس به من اولاده
وحرمه ومن يحرص به مجرا بهم من حاشيته وخوله
ما يلوه غيظا حقا وهو غير آمن على نفسه
من جهتهم مع التحاسد الذي بينهم فرحا بكابته
الاعداء ايام ومواطاة الحساد لهم وكلما ازداد
من الاعوان وبر الاضداد وبر انتصار زادوه في شغل
القلب وبلبوا الله من المكان ما لم يكن عنده
فهو غنى عند الناس وهو اشدهم فقرا ومحسود وهو
اكثرهم حسدا وكيف لا يكون فقيرا وحد الفقر

هو كثرة الحاجة فاكثر الناس حاجة اشدهم فقرا
كما اغنى الناس اقلهم حاجة ولذلك حكمنا
حكما صادقا بان الله تعالى اغنى الاغنياء
لانه لا حاجة به الى شيء من الاشياء وحكمنا ايضا
ان اعظم الملوك منا هم اشد الناس فقرا لكثرة
حاجتهم الى الاشياء ولقد صدق ابو بكر الصديق
رضي الله عنه في خطبته حيث قال اشقى الناس
في الدنيا والاخرة الملوك ثم وصفهم فقال ان الملك
اذا ملك زهد الله فيما في يده ورغبه فيما في يد غيره
وانتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاسفاف
فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير ويسأم
الرخاء وانقطع عنه لذة البقاء لا يستعمل العبرة
ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسي والسراب

الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت
نفسه ونضب عمره وحانت طلبته حاسبه الله
فاشد حسابه واقل عفوه الا ان الملوك هم
المرجومون من هذه صفة الملك اذا تمكن من ملكه
لا يغادر منه شيئا ولقد سمعت اعظم رشاهدت
من الملوك يستعيد هذا الكلام ثم يستعبر لموافقته
ما في قلبه وصدقه عز اسمه وصورته ولعل من
يرى ظاهر الملوك من الراحة والفراش والزينة
والاثاث ويشاهدهم في هواكبهم محفوفين محسودين
بين ايديهم الجنايب والمراكب والعبيد والخدم
والحجاب والحشم يروعه ذلك فيظن انهم مسرورون
بما يراه لهم لا والذي خلقهم وكفانا شغلهم انهم الفي
هذه الاحوال ذاهلون عما يراه البعيد انهم مشغولون

بالافكار الى تعهدهم ونعتهم فيما حكيناه
من حدودهم وقد جرّبنا ذلك في اليسير مما ملكناه
فدلّنا على الكثير مما وصفناه ولعلّ بعض من يصل
الى الملك والسلطان فالتذّ في مبدأ امره مدّ يسيرًا
جدًّا بمقدار ما يمكّن منه ويفتح عينه فيه ولكنه
بعد ذلك يصير جمع ما ملكه كالشيء الطبيعي له
لا يلتذّ ولا يتفكّر فيه ويمدّ عينه الى ما لا يملكه
فلو ملك الدنيا بحذافيرها لتمنّى دنيا اخرى
او ترقّت همّته الى البقاء الابدي والملك الحقيقي
حتى يتبرّم بجمع ما وصل اليه وبلغته قدرته
وذلك ان حفظ الدنيا اصعب جدًّا مما في طبعها
من الخلال والتلاشي وما يضطرّ الملك اليه
من الامور التي وصفناها وهي احوال الجمّة المصروفة

الى الجند المرتبطين والخدم المستوفين والذخائر
والكنوز المعدّة للآفات وبراحدات الدهر لا يؤمن
مطرقها فهذه حال طلّاب النعم الحاضرة عنا
فاما ملك النعم التي في ذواتنا فانها موجودة عندنا
وفينا وهي غير مفارقة لنا الا باهوية الحال وعلّة
وقد امرنا باستثمارها والتي فيها فاذا فعلنا
امرنا اثمرت لنا نعمًا بعد نعم ورقينا درجة
فوق درجة حتى نؤدّينا الى النعم الابدية التي
وصفناها فيما تقدّم وهو الملك الحقيقي الذي
لا يزول والغبطة الابدية الصافية التي لا تحول
فمن اخسّ صفقة واظهر سقطة ممن اضاع
جواهر نفيسة باقية هي عنده وموجودة له وطلب
اعراضا خسيسة فانية ليست عنده ولا موجودة له

فان يفوت احدهما لم يبق له ولم يترك عليه
وذلك انها تفعل عنه او يقتل عنها لا محالة
فلذلك قال الحكيم ينبغي لمن يزهد الكفاية
ووجد القصد من السعادة الخارجة ان لا يشغل
بفضول العيش فانها بلا نهاية ومن طلبها
اوقعته في مكاره لا نهاية لها وقد اعلمنا ك
فيما تقدم ما الكفاية وما القصد وان العرض الصحيح
منها هو مداواة الآلام والتحرز من الوقوع
فيها لا التمتع وطلب اللذة فان من عالج الجوع
والعطش اللذين هما مرضان والما من حادثان
لا ينبغي له ان يقصد لذة البدن بل صحته
فانه سيلتذ لا محالة فان من طلب بالعلاج
اللذة لا الصحة لم يحصل له الصحة ولم يبلغ اللذة

واما من لم يرزق الكفاية واحتاج الى السعي
والاضطراب في تحصيلها فحسبه ان لا يجاوز
القصد وقد حاجته منها الى ما يضطر معه
الى السعي الحثيث والحرص الشديد والتعرض
لمقابح المكاسب وضروب المهالك والمعاطب
بل يحمل في طلبها اجمال العارف بحاجاتها
وانه يضطر اليها لنقصانه فيطلب منها ما يطلب
ساير الحيوان من ضروراتها فان العاقل اذا
تصفح احوالها وجدها منها ما يأكل الميتة ومنها
ما يأكل الروث والحش وهي ممنوع بها بالجملة
من اقوالها قرة العين بها وليس يحس من
نفوسها نفورا ولا تقززا وانصرف نفوسها عنها
كما ينصرف نفوس الحيوان المضاد لها بل انما

ينصرف من اقوات ملك الاخر الى تضادها
في اللطافه ومثال ذلك الجعل والخافس
اذا قيست الى النحل فان ملك تهرب من
الروائح الطيبه والاقوات اللطيفه وهذا
يطلبها ويتيسر بها فاخذ بسبه كل حيوان الى
قوته الخاص به وكل مقتنع بالحفظ بقاه
وحياته طالب له مسرور به فينبغي ان ينظر
الى ما ابتسته لاخراج ما كنا نحرص على الوصول اليه
فلا بعدها عن هذا الاخر انها ضروريتان لنا
فنحن لا ابسها لاجل الضروري ولا اشغل عقولنا
باختيارها والتمتع بها وافنا اعمارنا في التانق لها
والتوصل اليها ولا انكاسل ايضا عن اعداد ضروراتنا
منها وانما يفضل احدهما على الآخر ويستحسن السعي

في طلب الدخل ولا يستحسن السعي في طلب الخرج
لان الاول منهما هو غذاء موافق للمحلف علينا
ما يحلل من موادنا والمنسقذ بها كذلك لا سفر
مما نضعه مكان ما يتحلل منه وينوب عنه
فاما الثاني منهما فهو عصارة ذلك الغذاء
وما نفته الطبيعة واخذت حاجتها منه
اعني الذي احالته دما صافيا وفرقته في العروق
على الاعضاء واطرحت الثفل الذي لا حاجة
منا اليه وهو في غاية المخالفة والبعد من امزجتنا
فنحن نستوحش منه وننفر عنه لاجل الضديه
والمخالفة الا انا مضطرون الى اخراجه ونحيته
ونفضه عنا بالآلات الموهوبة والمستعملة
في ذلك ليفرغ مكانه لما ياتي بعده ويجري مجراه

وينبغي للحافظ الصحة على نفسه الا يحرك قوته
الشهوية وقوته الغضبية بتذكرها اصاب
منها فوجد لذة بها بل يتركهما حتى تتحركا بانفسها
واعني بهذا ان الانسان ربما تذكر لذاته من اصابة
الشهوات وطيبها او مراتبه من كرامة السلطان
وغيرها فاشتاق اليها واذا اشتاق اليها تحركت نحوها
واذا تحركت نحوها فقد جعلها عرضة له فيضطر
الى استعمال القوة واستخدام النفس الناطقة
فيه لتدبر له الوصول اليه وهذه صورة من
يثير بها مواد عادية ويهيج سباعا ضارية
ثم يلتمس معالجتها والخلاص منها وليس بخار العاقل
لنفسه هذه الحال بل هو من افعال المجانين
الذين لا يميزون بين الخير والشر والصواب

والخطأ ولذلك يجب ان لا يتذكر اعمال هاتين
القوتين لئلا يشتاق اليها ويحركها بل
يتركها فانها ستثوران لانفسهما ويصيحان
عند حاجتهما وتلتمسان ما يحتاج البدن اليه
ويتحدث من باعث الطبيعة ما يغنيك عن بعثها
بالفكرة الروية والتمييز فيكون حينئذ فكرك
وتمييزك في ازاحة علتهما وبقدر ما تطلقه
لهما في الامر الضروري الواجب لابد لنا
الحافظ لصحتها وهذا هو ايضا مشية الله تعالى
واتمام سياسته انه تعالى انما وهب هاتين
القوتين لنا لنستخدمهما عند حاجتنا اليهما لا
لنخدمهما ونتعبد لهما فكل من استعمل النفس
الناطقة في خدمة عبدها فقد تحاور امر الله

وتعدّى حدوده وعكس هيئته وقلب
لأعدل اشرف وافضل من رتبته وقدر
وكل من خالفه وعدل عنه فهو اعظم جائر على
ذاته واعظم ظالم لنفسه وينبغي لحافظ الصحة
على نفسه ان يلاحظ نظره في كل ما يعمل ويدبّر
ويستعمل فيه آلات بدنه ونفسه ليدابر فيها
على عادة تقدّمت له مخالفة لما يوجب تغييره
وروّيته فما اكثر ما يعرض للانسان ان يبدر منه
افعال يخالف بها ما تقدّم فيه عزيمته وعقد عليه
رايه فمن عرض له مثل هذا فحق عليه ان يضع
لنفسه عقوبات يقابل بها امثال هذه
الذنوب فاذا اكره نفسه مبادرة الى طعام ضارّ
او ترك حمية قد كان استشعرها او تناول فاكهة

غير موافقة او حلوا وكذلك عاقب نفسه
بصوم ليفطر فيه الا على الكلف يقدر عليه
واقلّه وان امكنه المطيّ فليطو ويرتاح الجميه
من غير حاجة اليها ولكن في توبيخ نفسه ان
يقول لها انك قصدت تناول النافع فتناولت
الضارّ وهذا فعل من لا عقل له ولعلّ
كثيرا من الناس احسن حالا منك لانه ليس
ما يقصد لان لها ثم تناول ما يولمها فاستمسك
الآن للعقوبة وان اكرهت نفسه مبادرة
الى غضب في غير موضعه او على من لا يستحقه
او زيادة على ما يجب منه فليقابل ذلك بالتعرض
لسفيه يعرفه بالبذاء ثم ليحتمله او ليتذلل
لمن يعرفه بالخير ممن كان استواضع له قبل ذلك

او ليفرض على نفسه مالا يخرجه صدقة وليجعل
ذلك نذرا عليه ايجله وان اكره نفسه كسلا
وتوانيا في مصلحة له فليعاقب نفسه بسعي
فيه مشقة او صلوة فيما طول او بعض الاعمال
الصالحة التي فيها كد وتعب وبالجملة فليرسم
على نفسه رسوما يصيرها فرايض وحدودا
لا يخل بها وليتخص فيها اذا اكره نفسه
مخالفة لعقله ويتجاوز المسهوة وليحذر في
جمع اوقاته ملابسة رذيلة او مساعدة رفيق
على ما وخالفة صواب وليستحقن شيا ما نهاه
من صغاير السيات وليطلبن رخصة
فيها فان ذلك يدعوه الى ما عظم منها ومن تعود
في عبد انشوه وحدثان شبابه ضبط النفس

عن شهواته عند ثورة غضبه وحفظ لسانه
واحتمال اقرانه خف عليه ما يثقل على غيره ممن
لم تتادب بهذه الآداب وبان ذلك انا نجد العبد
واشباههم اذا بلوا بموالي يسفهون عليهم ويشتمون
اعراضهم هان الخطب فما يسمعونه حتى لا يوثر
فيهم وبما تضاحكوا عند سماع مكروه شديد
ضحكا غير متكلف ويعلون عند ذلك اعناقهم
وادعين طلقين غير قلقين وقد كانوا قبل
ذلك شرهين عضوبين غير محتملين ولا ممسكين
عن اجوبته ولا انتقام بالكلام وطلب الشفى
بالخصام وهذه سبيلنا اذا الفنا الفضايل
وتجنبنا الرذايل وامسكنا عن مقابلة السفهاء
او مجازاتهم بالانتقام منهم ويجب على حافظ الصحة على نفسه

ان تشبه بالملوك الموصوفين بالحزم فانهم يستعدون
للاعداء بالعدد والعتاد ويتحصنون قبل هجوم العدو
وهم في مهلة من زمانهم وفي اتساع من وقتهم ولو
اغفلوا ذلك الى ان يحل بهم المكان وتضيق
الشدايد لاذهلهم الامر عن الحيلة وعن الراى
الشديد فعلى هذا الاصل يجب ان نبني امورنا
في الاستعداد لاعدائنا من الشرة والغضب
وسايرما يرتلنا عراضنا من الفضايل بان نتعود
الصبر على ما يجب الصبر عليه والحلم عمن ينبغي ان
يحلم عنه ونضبط النفس عن الشهوات الرديه
وان نتمرن مع هذه الرذايل وقت هيجانها فان الامر
عند ذلك صعب جدا ولعله غير ممكن البتة
ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يطلب عيوب نفسه

باستقصاء شديد وان يتبع كما قاله جالينوس
في ذلك فانه ذكر في كلامه المعروف بتعرف لمرء
عيوب نفسه انه لما كان كل انسان يحب عارفا
خفيت عليه معايبه ولم يرها وان كانت ظاهرة
واشار في كتابه هذا بان يختار من يحب ان يبرأ
من العيوب صديقا كاملا فاضلا فيخبره بعد
طول الموانسة انه انما يعرف صدق مودته اذا
صدقه عن عيوبه حتى يتجنبها ويتحفظ عنها على ذلك
ولا يرضى منه اذا قال له لا اعرف لك عيبا بل يعتب
عليه وينكرها يقول ويعلمه انه قد اتهمه بالخيانة
ويعاود مسئلته ويراجعه عليه فان لم يخبره بشيء
من عيوبه فليظهر هو جدا وعياصرها ويريد
في ارغبه اليه ويراجعه عليه فاذا لم يخبره بشيء من عيوبه

زاد فلبلا فاذا اخبر بعض ما يعثر عليه منه
فلا يظهر له في وجهه او كلامه كراهية
ولا انقباضا بل يبسط له وجهه ويظهر السرور
بما اخرجه اليه وينبهه عليه ويشكر على الامام
وفي اوقات الملاينة ليطرقه الى الهدى
مثله الله ثم يعالج ذلك العيب بما يزيل اثره
ونحو ظله ليعلم ذلك الهدى اليك عيبك انك
من وراء نفسك وفي طريق علاج مرضك فلا تنقص
عن معاودتك ونصيحتك وهذا الذي اشار به جالينوس
معوز غير موجود والمطموع فيه ولعل العلة
في هذا الموضع انفع من الصديق فان العدو لا
يحتشمنا في اظهار عيوبنا بل يجاوز ما يعرف عنا
الى التقصي والتكذب بها فتنبه على كثير من عيوبنا

من جهتهم بل يجاوز ذلك الى ان يتهم نفوسنا
بما ليس فيها وجالينوس ايضا مقاله يخبر فيها ان
خيار الناس ينتفعون باعدائهم وهذا صحيح لا يخالفه
فيه احد وذلك لما ذكرناه فاما ما اخبار ابو يوسف
يعقوب بن اسحق الكندي في حلك فهو احكيه
بالفاظه وهو هذا قال ينبغي لطالب الفضيلة
ان يتخذ صورة جميع معارفه من الناس مرآى له
تريه صورة كل واحد منهم عند ما يعرض له من الآلام
الى يتمم السيئات حتى لا يعيب عند شيء من السيئات
الى له وذلك انه يكون متفقدا سيئات الناس
فمتى رأى سيئة بادية من احد ذمها نفسه عليها
كانه هو فعلها واكثر عتبه على نفسه من اجلها
ويعرض على نفسه في آخر كل يوم وليلة جميع افعاله

حي لا يشذ عنه شيء منها فانه قبيح بنا ان نجتهد
في حفظ ما انفقناه من الحجاج الدنيه ونرد ما
الهاجة الغريبه منا الى لم يقتضنا عنها البته
في كل يوم والحفظ ما يفوم من ذواتنا الى توفرها
بقاونا وينقضنا فاونا فاذا وقفنا على سيئه
من افعالنا اشد عذلنا لانفسنا عليها ثم لنقيم
عليها حدا لفرضه ولا نضيعه واذا تصفحنا
افعال غيرنا ووجدنا فيها سيئه غابنا ايضا نفوسنا
عليها فان نفسنا ترتدع عن المساوي ونالف الحسنات
ويكون المساوي اذا بال انسانها ولا ياتي عليها
زمان طويل فنعفي دثرها وكذلك ينبغي ان نعمل
في الحسنات لنفرع اليها ولا يفوتنا منها شيء
قال وينبغي ان لا نقنع بان نصير اشباه الناس فانه

والكتب التي تفيد غيرها معاني الحكمة وهي عادة
اقناوها او كالمسان لتشحذ ولا تقطع بل يكون
كالشمس التي تفيد القمر كلما اشرقت عليه اتاه
من ذاتها ففعل له تماما حتى يكون لها شبيها
وان قصر عن نورها فهكذا ينبغي ان يكون حالنا
اذا افدنا غيرنا الفضايل وهذا الذي ذكره الكندي
في ذلك ابلغ مما قاله من تقدمه هذا آخر المقالة
الثانية في القول في تدبير الصحة على النفس
اذا لم يكن خاضرا وهو القول في علاج امراضها
ونبتدي بعونه الله تعالى بذكر اجناس هذه الامراض
الغالبة ثم بدواء الاعظم فالاعظم منها نكاية
والاكثر فالاكثر منها جناية فنقول ان اجناسها الغالبة
في مقابلات الفضايل الاربع التي حصيناها في مبدا الكلام

ولما كانت الفضائل اوساطا محمودة والعيا موجودة
امكن ان تطلب وتقصد وينتهى اليها بالحركة والسعى
وبالاجتهاد واما سائر النقط التى ليست باوساط
فانها غير محمودة ووجودها بالعرض لا بالذات
ومثال ذلك ان الدايرة لها مركز واحد وهى
نقطة واحدة ولها وجود فى ذاتها يقصد
ويشار اليها وان لم نجدها حسا او لم يمكننا
الاسان نشير اليها امكننا ان نستخرجها ونقيم البرهان
عليها وانها هى المركز دون غيرها من النقط واما
النقط التى ليست بمركز فلا نهاية لها ولا وجود لها
بالذات وانما يوجد اذا فرضت فرضا وليست
لها عين قايمة فلذلك لا تقصد ولا يمكن ان نستخرجها
لانها مجهولة ولانها شايعة فى جميع بسيط الدايرة

فاما الطرفان اللذان يسميان متضادين فهما
موجودان معينان لانهما طرفا خط مستقيم
معين والبعد بينهما غاية البعد مثال ذلك
انا اذا اخرجنا من مركز الدايرة خطا مستقيما
الى المحيط صار طرفاه محدودين احدهما الى المركز
والاخر نهاية عند المحيط والبعد بينهما غاية البعد
ومثاله من المحسوس البياض والسواد فان احدهما
يتضاد الآخر وهما محدودان موجودان والبعد
بينهما غاية البعد فاما الاوساط التى بينهما فهى لا نهاية
ولذلك الوان هى لا نهاية فاما اطراف الفضله
فلما كانت اكثر من واحد لم يسم ضدا لان لكل ضد
ضدا واحدا ولا يمكن ان يوجد اضداد كثيرة لضد
واحد والسبب فى ذلك ان البعد بينهما غاية البعد

وقد نجد الفضيلة الواحدة اكثر طرف واحد
وذلك اذا تصورنا الفضيلة مركزا واخرجنا
منه خطا مستقيما فحصلت له نهايه امكننا
ان نخرج من امكان الاخر المقابل له خطا آخر
على استقامة فيصير له نهايه اخرى ويصيران
جميعا متقابلتين للمركز الذي فرضناه فضيله
الا ان احدهما يجري مجرى الافراط والغلو
والاخر يجري مجرى التفريط والتقصير
واذ قد فهم ذلك فليعلم ان لكل فضيله طرفين
محمودين يمكن ان يشار اليهما واوساط بينهما
كثيرة لا نهاية لها ولا يمكن الاشارة اليها الا ان
الوسط الحقيقي هو واحد وهو الذي سميناه
فضيله ثم ليعلم انا بحسب هذا البيان نجعل

اجناس الرذايل ثمانيه لان اضعاف الفضايل
الاربع التي تقدم شرحها وهي هذه التهور
والجبن طرفان للوسط الذي هو الشجاعه
الشره والخمود طرفان للوسط الذي هو العفه
الجهل والبلاهه طرفان للوسط الذي هو الحكمه
الجور والمهانه اعني الظلم والانظلام طرفان
للوسط الذي هو العداله وهذه الاجناس التي
تقابل الفضايل التي هي صحه النفس وتحت هذه الاجناس
انواع لا نهايه لها وانما ذكر التهور والجبن اللذين
هما طرفا الشجاعه وهي فضيله النفس وصحتها فنقول
ان سببهما وجدانهما النفس الغضبيه ولذلك
صارت الليله باسرها من عادة الغضب والغضب
بالجمله هو حركه النفس يحدث بها غليان حرم القلب

شهوة للانتقام فاذا كانت هذه الحركة عنيفة
واجتمعت نار الغضب واضرمتها فاحذ عليان دم القلب
واشتدت المشارين والدماغ دخانا مظلما مضطربا
يسود منه حال العقل وتضعف فعله وتصير
مثل الانسان عند حلك على ما حكته الحكماء مثل
كهف ملئ حريقا واضرم نارا فاخرق فيه اللهيب
والدخان وعلامته الاجم والصوت المسمى
وحى الفؤاد فيصعب علاجه ويعنى اطفاؤه
وتصير كل ما تدنيه منه للاطفاء سببا لزيادته
ومادة لقوته فلذلك يعمى الانسان عن الرشد
ويصم عن الموعظة بل يصير الواعظ كلها في ذلك
الحال سببا للزيادة في الغضب ومادة اللهيب
والدخان وليس يرجى له في ذلك الحال حيلة

وانما تتفاوت الناس في ذلك بحسب المزاج فان
كان المزاج حارا يابسا كان قريبا الى حال من
الكبريت الذي اذا دنيت منه الشرارة الضعيفة
التهبت وان كان الضد كان حاله بالضد
وهذا في حق الامي وعنفوان حركة الغضب
فاذا اجتدم كاد الحال يتعاود فيه وتصور
ذلك من الحطب اليابس والرطب وتمثل مبدا
اشتعال النار بسرعة وشدة من الكبريت والنفط
ثم انحدارها الى الادهان المتوسطة الى ان تسكن
الى الاحتكاك فان لم يحتكك وان كان ضعيفا
في توليد النار فربما قوى حتى التهب منه الاجمة العظيمة
وكذلك مثل السحاب الذي هو مزاج النار كيف
يحتك حتى يقدح بسببه النيران ويزاد منها الصواعق

التي راثبت آثارها شيء من المواد والاقارف
ما يتعلق به حتى يصيبها سماوان كان جلا الطلس
وجرى الصمم واما سقراطس فانه قال ان للسفينة
اذا عصفت الرياح وتلاطمت عليها الامواج
وقذفت بها الى اللجج التي فيها الجبال ارجى مني
الغضبان الملتهب وذلك ان السفينة في هلك
الحال يلطف لها الملاحون ويخلصون بضروب
الحيل واما النفس اذا استشاطت غضبا فليس لها
حيلة البتة وذلك ان كل ما يرمي به الغضب
من التضرع والمواعظ والخضوع يصير له بمنزلة
الجزل من الحطب يوهجه ويزيده استعارا فاما
اسبابه المولدة هي العجب والافتخار والمراء
والاجاج والمزاح والبتة واما استهزاء والغدر والضيم

وطلب الامور التي فيها غرض وتنافس فيه الناس
وتحاسدون عليها وشهوة الاستقام غاية لجمعها
لانها باجمعها منتهى الله ومن لواحقه اللذاذة وتوقع
المجازاة بالعقاب عاجلا وآجلا وتغير المزاج
وتعجل الالم وذلك ان الغضب يحون ساعة
وربما ادى الى اللف باختناق حرارة القلب فيه
وربما كان سببا لامراض صعبة صودية الى اللف
ثم من لواحقه مقت الاصدقاء وشماتة الاعداء
واستهزاء الحساد ويراذل من الناس ولكل واحد
من هذه الاسباب علاج نبدا به حتى يقلع من اصله
فاما اذا تقدمنا بحسم هذه الاسباب واماطتها
وقطعنا مادتها وامنا غائلتها فان عرض لنا
منه عارض كان بحيث يطيع العقل ويلتزم شرائطه

وحدث فضيلته اعني الشجاعة فكون جنده
اقداما على ما تقدم عليه كما يجب وحيث يجب
وبالمقدار الذي يجب وعلى من يجب اما العجب
فحقيقته اذا حددناه انه ظن كاذب بالنفس
في استحقاق مرتبة هي غير مستحقة لها وحق
على من عرف نفسه ان يعرف كل العيوب
والنقصانات التي تعتورها وان الفضل مقسوم
بين البشر وليس يكمل الواحد منهم الا بفضائل غيره
وكل من كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه
ان لا يعجب بنفسه وكذلك الافتخار فان الفخر هو المباهاة
بالاسباب الخارجة عنا ومن باهى بما هو خارج عنه
فقد باهى بما لا يملكه وكيف يملك ما هو معرض للافات
والزوال في كل ساعة وفي كل لحظة ولسنا على ثقة منه

في شتى معان وذوات واصح الامثال واحدها فيه
ما قال الله عز وجل من قائل حيث يقول واضرب لهم
مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
الى قوله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية
على عروشها ثم قال تعالى واضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله
على كل شيء مقتدرا وفي القرآن من هذه الامثال
شيء كثير وكذلك في الاخبار المروية عن النبي صلى الله عليه
فاما المفتخر بنسبه فاكثر ما يدعيه اذا كان صادقا
ان اباه كان فاضلا فلو حضر ذا الفاضل وقال
ان الفضل الذي تدعيه لي انا مستبد به دونك
فما الذي عدل منه مما ليس عند غيرك لاحمه واسكنه

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا
المعنى اخبار كثيرة صحة منها انه قال لا تاتوني
بانسابكم واتوني بما لكم او ما لهن محاسنه ومحاكي
عن مملوك كان لبعض الفلاسفة انه افحش عليه
بعض رؤسآء زمانه فقال له ان افحشت علي بقبيح
فالحسن والفراهة للقبيح لك وان افحشت
بثيابك وآلاتك فالحسن لها دونك وان افحشت
بآبائك فالفضل كان فيهم دونك فاذا كانت
الفضائل والمحاسن خارجة عنك وانت منسلخ عنها
وقد رددناها على اصحابها بل لم تخرج عنهم فتردّ
عليهم فانت مَن وحكي عن بعض الفلاسفة انه
دخل على بعض اهل اليسار والثروة وكان يحتشد
في الزينة ويفتخر بكثرة ماله وآلاته وحضر الفيلسوف

بزقة فنخع لها والتفت في البيت يمينا وشمالا ثم بزق
في وجه صاحب البيت فلما عوتب على ذلك قال
لانّي نظرت الى البيت وجمع ما فيه فلم اجد هناك
اقبح منه فبزقت عليه وهكذا يستحي من كان
خاليا من فضايل نفسه وافخر الخارجات عنه
فاما المراء والمزاح فقد ذكرنا قبح صورتهما
في المقالة التي قبل هذه وما يولدانه من الشحناء
والفرقة والتباغض من اخوان واما المزاح
فان المقدار المعتدل منه محمود وكان رسول الله صلعم
يمزح ولا يقول الا حقا وكان امير المؤمنين عليه
كثير المزاح حتى عابه بعض الناس فقال لولا دعابة فيه
ولكن الوقوف على المقدار المعتدل منه صعب
واكثر الناس متعدّ ولا يدري اين يقف منه

ويخرج عن حدّ ويروم الزّيادة فيه على صاحبه
حتى يصير سببا للوحشة وتثير غضبا كامنا
وضربة حقد باقية فلذلك عددناه في هذه الاسباب
فيمتنع ان يحاد من لا يعرف حدّ وتذكر قول القائل
رُبَّ جِدٍّ جَرَّ اللَّعِبَ ۝ وبعض الحرف اوله
مزاح لم يمزج فيه فلا يهتدى لعلاجها واما التّيه
فهو مرض من العجب والفرق بينهما ان العجب يكذب نفسه
فيما يظن بها والتّيه يتيه على غيره والمتكبر نفسه
الّا ان علاج المعجب نفسه وخلك ان يعرف
ان ما تيه به لا مقدار له عند العقلاء وانهم لا يعتدون به
لحسب اسّ قدر ونزان حظه من السعادة ولانه متغيّر
زائل غير موثوق ببقائه ولان المال والاثاث وسائر
ما يراعى فيه جاه عند كل صنف من الناس الاشراف

والارذال والجهال والاذلال وغيرهم فاما العلم
والحكمة وسائر الفضائل فليس يوجد الّا عند اهلها
من الحكماء والفضلاء خاصّة واما الاستهزاء
فانما نستعمله المجّان من الناس والمستخفّ وجهّال
بما يقابل به لانه قد وضع في نفسه احمال مثل ذلك
واضعافه وهو ضاحك قهقرا العين بضروب الاستخفاف
الى بلهته وانما يتعرّض للدخول تحت المذلة والصّغار
بل انما يتعرّض لتهليل ما يبتدى به الكثير ما يعامل به
ليضحك غيره وينال اليسير من برّه والحرّ الفاضل
بعيد من المقام حتى يلزم نفسه وعرضه عرضة تعرّضهما
للسّفهاء وبيعهما بجمع خزائن الملوك فضلا عن الحقير
التّافه واما الغدر فوجهه كذا اعني انه استعمل
في المال وفي الجاه وفي الحرم وفي المودّة وهو

على كثرة وجوهه ذموم كل انسان وعيب عند كل احد
غير انسان مزدكي ولا يصرفه انسان وان قل حظه
من الانسانية ولد بوجه الا في جنس واحد من اجناس العبد
يتوقاهم الناس ويخافونهم سائر اجناس العبد.
وذلك ان الوفاء الذي هو ضده موجود في جنس الروم
والحبشة والنوبة وقد شاهدنا من حسن وفاء كثير
من العبد ما لا يشاهد في كثير من المتسمين بالاحرار
ومن عرف قبح الغدر بالجملة ونفور العقلاء منه
ثم عرف معناه فليس يحله خاصة من له طبيعة جملة
او قرأ ما تقدم في هذا الكتاب وتخلو به وانتهى في
قراءته الى هذا الموضع فاما الضيم فهو تكليف احمال
الظلم والغضب لما يعرض النفس منه وشهوة الانتقام
وقد ذكرنا فيما تقدم حال الظلم وما انطلام فينبغي

ان لا يتسرع الى الانتقام عند ضيم يلحقنا حتى ننظر فيه
ونحذر ان يعود علينا الانتقام بضرر اعظم
من احمال مثل ذلك الضيم وهذا النظر والحذر
هو استشارة العقل وهو الحلم بعينه فاما طلب
الامور التي فيها غبن وتنافس فيها الناس فهو خطأ
من الملوك والعظماء فضلا عن اوساط الناس وذلك
ان الملك اذا حصل في خزانته علق نفيس لزم
وجوهر نفيس فهو متعرض له للجزع عليه عند فقده
ولا بد من حلول الآفات به لما عليه طبيعة العالم
اعني عالم الكون والفساد من تغير الامور واحالتها
وادخال الفساد على كل ما يدخره ويقتنيه فاذا فقد
الملك ذخيرة عرض له الوجود ظهر عليه ما يظهر على
المفجوع المصاب بما يعز عليه ومن فزع الى نظر

الذى لا يجد فيطلع الصديق والعدو على حزنه وكآبته
وحكى عن بعض الملوك انه اهدى اليه قبة بلور صافيه
بحسنة البناء محكمة الخرط قد استخرج فيها اساطين
وصور وخاطرها صانعها من بعد اخرى فى تلخيص
النقوش والحروف والتجاويف الى من الصور والرياش
فلما حصلت من يده اكثر تعجبه منها واعجابه بها
وامر بها فرفعت فى خاص خزانته فلم تلبث عليها كثير
زمان حتى اصابها ما يصيب اشكالها من المتالف
وبلغ ذلك الملك فظهر عليه من الاسف والجزع
ما منعه من التصرف فى امور والنظر فى مهماته
والجلوس لجنده وحاشيته واجتهد الناس فى وجود شىء
شبيه بها فعذر عليهم فظهر ايضا من عجزه وامتناع
مطلوبه عليه ما تضاعف به جزعه وحزنه فاما

او ساط الناس من ذوى آلة كريمة او جوهر
او اتخذ وامر كوبا فارها وما اشبه ذلك التمسها
منهم من لا يمكنه رده عنها فان حاجز عما
وبخل عليه بها فعرض نفسه ونعمته للبوار
وان سمح بها لحقه من الجزع والغم ما كان مستغنيا عنه
واما الاحجار المتنافس فيها من الياقوت واشباهها
مما بعد عنها الآفات الكارجة من السرقة ووجوب الحيل
فيها واذا ادخرها الملك قل انتفاعه بها عند حاجته
اليها وربما عدم انتفاعه بها دفعة وذلك ان الملك
اذا اضطر الى الهامها لم ينفعه فى عاجل امر وحاضر
ضرورته وقد شاهدنا اعظم الملوك خطرا ممن
شاهدناه فى عصرنا لما احتاج اليها بعد فما اصوله
ونفاد ما فى خزانته وقلاعه لم يجد ثمنها واقربها ثمنا

عند احد ولم يحصل منها الا على الغصة في
حاجة الى رغبته في بعض همتها وهو القدر
على كثيره والقليل من اثمانها وهي مبذوله مبتذله
في ايدي الدلالين والتجار والسوقة يتعجبون منها
والقدرون عليها وهم قوم هم على شئ من ما
لم يتحاسر عليه خواص متبعته بعد هلاك وظهور
امره فيتبرع منه فهذه حال هذه الانجاز عند الملوك
وغيرهم فاما التجار الموسوعون من الصناعة
فربما اتفق لهم في زمان صالح وسكون من الدهماء
وامن في السرب وحينئذ يكون بضاعتهم شبيهة
بالكاسدة لانها اسفل الا على الملول الوادع عن الدين
لا يحزنهم شئ من نوائب الدهر وقد استمر بهم الحفض
وفضلت احوالهم عن الجران والقلاع فحينئذ يغتر ويميل

بالزمان فيقعون في مثل هذه الخدايع ثم تؤول
عاقبتهم الى ما حذرناه فهذه اسباب الغضب
والامراض الحادثة منها وقد ذكرنا علاجاتها
وحذرنا من اسبابها والوقوع فيها ومن عرف العدالة
وتحلى بها كما كبناه فيما تقدم سهل عليه علاج هذا
المرض لانه جور وخروج عن الاعتدال ولذلك
ينبغي ان نسميه باسم المدح واعني بذلك ان قوما
يسمون هذا النوع من الجور اعني الغضب في غير موضعه
رجولية وشدة شكيمة ويذهبون به مذهب الشجاعة
والذي هي الحمقة اسم مدح وشتان بين المذهبين
فان صاحب هذا الخلق الذي ذممناه تصدر عنه
افعال رديئة كثيرة يجورها على نفسه ثم على اخوانه
ثم على الاقرب فالاقرب من معامليه حتى ينتهي الى غير اخوانه

فيكون عليهم سوط عذاب لا يفيقهم عثرة ولا يرحم لهم عبرة
وان كانوا براء من الذنوب غير مجترمين ولا مكتسبين سوأ
بل يجرم عليهم ويهيج بادنى سبب تخبط بها اللهم
حتى يبسط لسانه ويد وهم المشعوذون منه والنحاسون
على بدنه عن انفسهم بل يتعوذون له ويقربون بذنوب
لم يقترفوها استكفافا للشر وتسكينا لغضبه
وهو في ذلك مستمر على طريقته لا يكف يدا ولا لسانا
وربما تجاوز في هذه المعاملة الناس الى البهائم الى الاعقل
والى الاوانى الى الجس فان صاحب هذا الخلق الردى
ربما قام الى الحمار والبرذون او الى الحمام والعصفور
فيقتلها بالضرب والكدوه وربما عض القفل
اذا تعسر عليه وكسر الآنية التي لا يجد فيها طاعة لامره
وهذا النوع من ردائة الخلق مشهور في كثير من الجهال

تمثلوه

يستعملونه في الثوب والزجاج والحديد
وساير الآلات فاما الملوك من هذه الطايفة
فانهم يغضبون على الامطار والرياح والهواء
اذا هبت مخالفا لهواهم وعلى القلم اذا لم يجر
على رضاهم فيسبون ذلك ويكسرون هذا
وكان بعض من تقدم منهم يغضب على البحر
اذا تاخرت سفينته فيه لاضطراره وحتى له امواجه
حتى يهدده بطرح الجبال فيه وطمها وكان
بعض السفهاء في عصرنا يغضب على القمر وسببه
ويجوه بشعر له مشهور وذلك انه كان يمشي به
اذا نام فيه وهذه الافعال كلها قبيحة جدا
وبعضها مع قبحه مضحك يمزح بصاحبه فكيف
يمزح بالرجولية والشدة وشرف النفس وعزها

وفي المذمة والغضب اولاها بالمدح واي حظ لها
في العز والشدة ونحن نحفظ في النساء التي منها في الرجال
وفي المرض في الضعفاء اقوى منها في بعض الاصحاء الاشداء
ونجد الصبيان اشد واسرع غضبا من الرجال
والشيوخ اكثر غضبا من الشباب ونجد رذيلة
الغضب مع رذيلة الشره فان الشره اذا تعذر عليه
ما يشتهيه غضب وضجر على من يهيئ طعامه وشرابه
من نسائه وخدمه وبما يرى عليه بأس امر والبخيل اذا
فقد شيئا من ماله يسرع بالغضب على اصدقائه ومخالطيه
وتوجه نميمته الى اهل الثقة من خدمه وحواليه وهو الا
الطبقة الذين يصلون من اخلاقهم الاعلى فقد الصديق
وعدم النصح وعلى الندم السريع واللوم الوجع
وهذه خلال الايم معها غبطة ولا سرور وصلحها

ابدا

ابدا محزون كئيب منغص عيشه متبرم بامور
وهي حال الشقي المرحوم فاما الشجاع العزيز النفس
فهو الذي يقهر حملة غضبه ويملك من القوة والنظر
فيما يهمه ولا يستفز ما يرد عليه من المكاره غضبه
حتى يروي فيه كيف ينتقم وممن وعلى اي قدر
او كيف يصفح ويغضي عمن وفي اي ذنب وقد حكي
عن الاسكندر انه رضي الله عن بعض اصحابه انه
يعيبه وينتقصه فقال له بعض اصحابه لو ادبته
ايها الملك بعقوبة تهلكه فقال له كيف يكون
انتهاكه بعد عقوبتي له في قلبي وطلب معايبي ايه حينيد
ابسط لسانا واعذر عند الناس واتى يوما بعض
اعدائه المتغلبين الحاد حرص عليه وكان قد عاث في اطرافه
عيثا كبيرا فصفح عنه فقال بعض جلسائه لو كنت انا انت

لقتله فقال الاسكندر فاذا لم اكن انا انت فلست
بقاتله فقد ذكر ما معظم اسباب الغضب ودللنا
معالجها وحسمها وهو النوع الاعظم من امراض النفس
واذا تقدم للانسان في حسم سببه لم تخش عليه منه
وكان ما يعرض منه سهلا علاجه قريبا نواله لا مادة له
يلهبه وتمده والسبب تسعر ويوقد وبحد الشهوة
موضعا لاحداد النظر والفكر في فضيلة الحلم واستعمال
المكافاة ان كان صوابا او التغافل ان كان خزما
والذي يتلو معالجة هذا النوع من امراض النفس
معالجة الجبن الذي هو الطرف الاخر من صحتها
علاج الجبن ولما كانت الاضداد تعرف
بعضها من بعض وكما قد عرفنا الطرف الذي حددناه
بحركة النفس عند فوته تحدث منها غليان دم القلب

شهوة

شهوة الانتقام فقد عرفنا اذن مقابله على الطرف الآخر
الذي هو سكون للنفس عند ما يجب ان تتحرك فيه
وبطلان شهوة الانتقام وهذا هو سبب الجبن
والخور وشبعه مهانة النفس وسوء العيش وطمع طبقات
الانذال وغرهم من اهل بيوت واولاد وسائر المعاطين
وقلة الثبات والصبر في المواطن التي يحسن فيها الثبات
وهو ايضا سبب الكسل ومحبة الراحة اللذين هما
سببا كل رذيلة ومرذول حتى الاستهتار لكل احد
والرضا بكل منزلة وضيم والدخول تحت كل فضيحة
في النفس وفي الاهل والمال وسماع كل قبيح وفاحش
من الشتم والقذف واحمال كل ظلم من كل معامل
وقلة غيرة النفس مما يتنافس منه الناس من الاحوال وعلاج
هذه الاسباب واللواحق يكون بالضد لها وذلك

بان يوقظ النفس التي تمرض هذا المرض بالهز
والتحريك فان كان الانسان الحلو مرقع الغضبة
راسا حتى يحلب الله من مكان آخر ولكنها ناقصة
عن الواجب فهي بمنزلة النار الخامدة التي فيها بقية
لقبول الروح والنفخ فهو تحريك الحيلة اذا حركت
بما يليق بها وبقيت بما في طبعها من الوقد واللهب
وقد حكي عن بعض المتفلسفين انه كان يتعمد مواطن
الخوف فيقف فيها ويحمل نفسه على حضور الخاطرات
العظيمة والتعرض لها ويترك البحر عند اضطرابه
وهيجانه ليعود نفسه الثبات في المخاوف
ويحمل فيها القوة التي يسكن عند احتياجه الى حركتها
ويخرجها عن رذيلة الكسل والوادعة والانكسار
اصلب مثال هذا المرض بعض المرآء والتعرض

للملاحاة وخصوصة مرأ من غايلته حتى يقرب
من الفضيلة التي هي وسط بين الرذيلتين
اعني الشجاعة التي هي صحة النفس المطلوبة فاذا
وجدها وتحسس بها من نفسه كف ووقف
وام بجاوزها جدا امر الوقوع في كان الآخر
الذي علمنا كل علاجه علاج الخوف
ولما كان الخوف الشديد في غير موضعه من امراض النفس
وكان متصلا بهذه القوة وجب ان يذكر وندرك اسبابه
وعلاجه فنقول ان الخوف يعرض من توقع مكروه
وانتظار محذور والوقوع وبر انتظار ما يكونان
للحوادث في الزمان المستقبل وهذه الحوادث ربما
كان عطبه وربما كان يسيرة وربما كان ضرورة
وربما كانت مكروهة وبر امور الممكنة ربما كان من اسبابها

وربما كان غير اسبابها وجمع هذه الاقسام ليس ينبغي
للعاقل ان يخاف منها اما الامور الممكنة فهي الحقيقة
متوجهة بين ان تكون وبين ان لا تكون وليس يجب
ان نصمم على انها تكون فنستشعر الخوف منها
ونتعجل مكروه الالم بها وهي بعد لم تقع ولعلها
لا تقع وقد احسن الشاعر في قوله
وقل للفؤاد اذا نزا بك نزوة من الروع افرح اكي الروع باطله
فهذا حال ما كان منها عن سبب خارج وقد اعلمك
انها ليست من الواجبات التي لا بد من وقوعها
وما كان كذلك فالخوف من مكروهه يجب ان يكون
على قدر حدوثه وانما يحسن العيش ويطيب الحوة
بالظن الجميل وهو اجمل القوى وبرد الفكر في كل ما
يمكن ان لا يقع من الممكن واما ما كان سببه

سوء اختيارنا وجنايتنا على انفسنا فينبغي ان
نحترزه بترك الذنوب والجنايات التي تجلب
عواقبها والاقدام على امر لا نامن غايلته فان
هذا داخل من قسم الممكن فهو الذي يجوز ان يكون
ويجوز ان لا يكون وذلك انه اذا اتى ذنبا
وجنى جناية قدر في نفسه انه يخفى ولا يظهر
او لا يخفى فيظهر الا انه يتجاوز عنه ولا يكون له
غايلة وكانه يجعل طبيعة الممكن واجبا كما ان
صاحب القسم الاول يجعل ايضا الممكن واجبا
الا ان هذا يامن جانب المحذور خاصة وذلك
يخاف الجانبين ما خوذ خاصة واعني بهذا ان الممكن
لما كان متوسطا بين الجانب الواجب والجانب الممتنع
صار كالشيء الواحد له جهتان احداهما يلي الواجب

وبراغرى بل الممتنع مثال ذلك خط اب
فنقطة ا هى الكائن الواجب ونقطة ب هى الكائن
الممتنع وكوضع ح هو الممكن وبعد من الكائنين
بعد واحد فاذا الى نقطة ا نسبه وله الى نقطة ب
نسبة فاذا صار مستقبلا ماضيا بطل اسم الممكن عنه
وحصل اما فى الكائن الواجب واما فى الكائن الممتنع
وليس سبيل ما دام ممكنا ان يحسب لا من هذا الكائن
ولا من ذاك الكائن بل يعتقد فيه طبعا الخاص به
وهو انه يمكن ان يصير الى هناك والى هناك ولهذا
قال الحكيم وجوه الامور الممكنة فى اعقابها واما
الامور المضمونة كالهرم وتوابعه فان علاج الخوف منه
ان يعلم ان الانسان اذا اجتث طول الحلوة فقد احب
لامحاله الهرم واستشعر استشعارا لابد منه

ومع الهرم يحدث نقصان الحواس الغريزية والقوى
الاصلية التابعة لها وغلبة حدتها من البرد واليبس
وضعف الاعضاء الاصلية كلها وتبع ذلك قلة
الحركة وبطلان النشاط وضعف الات الهضم
وسقوط الات المضغ ونقصان القوى المدبرة للحلوة
اعنى القوة الجاذبة والدافعة والممسكة والهاضمة
وسائر ما يتبعها من مواد الحلوة وليست الالام
وامراض شياغر هذه الاشياء الملتزم لشرائطها
فى مبدا كونه الخائف منها بل ينتظرها ويرجوها
ويدعى له بها ويرغب الى الله تعالى فيها عند الصلوات
والمساجد والمشاهد فهذا جملة الكلام على الخوف المطلق
الكلام على الخوف من الموت ولما كان
اعظم ما يلحق الانسان منه هو الخوف من الموت وكان

هذا الخوف عاما وهو مع عمومه اشد وابلغ من جميع
المخاوف وجب ان نستوفي الكلام فيه خاصة فنقول
ان الخوف من الموت فليس يعرض الا لمن لا يدري
ما الموت على الحقيقة او لا يعلم الى اين مصير نفسه
او اندا يظن ان بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل
ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور وان العالم
سيبقى بعد وجوده وليس هو بموجود فيه كما يظنه
من يجهل بقاء النفس وكيفية المعاد او انه يظن
ان للموت الما عظيما غير الام الامراض التي بها تقدمته
وادت اليه وكانت سبب حلوله او انه يعتقد
عقوبة تحل به بعد الموت او انه متحير لا يدري
على اي شيء يقدم بعد الموت او انه يأسف على ما خلفه
من المال والقنيات وكلها ظنون باطلة لا حقيقة لها

اما من جهل الموت ولم يدر ما هو فانا نبين له ان الموت
ليس بشيء اكثر من ترك النفس استعمال آلاته وهي الاعضاء
التي يجمعها اسم بدن كما يترك الصانع استعمال آلاته
فان النفس جوهر غير جسماني وليست عرضا وانها غير قابلة
للفساد وهذا البيان يحتاج فيه الى علوم تخدمه وهو
مبني من مشروح على الاستقصاء في موضعه الخاص به
ومن يطلع الله ونشطه للوقوف عليه لم يبعد مرامه
ومن وضع ما اذكره في صدر هذا الكتاب وسكن نفسه
الى علم ان ذلك الجوهر مفارق لجوهر البدن مباين له
كل المباينة بذاته وخواصه وافعاله وآثاره فاذا
فارق البدن كما قلنا وعلى الشرط الذي شرطنا بقي البقاء
الذي يخصه وبقي من الكمال وسعد السعادة التامة
والاسبل الى الغاية وعدمه فان الجوهر لا يفنى وحيث هو جوهر

ولا يبطل ذاته وانما يبطل الاعراض والخواص والنسب
والاضافات التي بينه وبين الاجسام باضدادها
فاما الجوهر فلا ضد له وكل شيء يفسد انما يفسد
بضده وقد يمكن ان يقف على حال يسهو له من
اوائل المتوسط الى ان تصل الى براهينه وان انت
تأملت الجوهر الجسماني الذي هو اخس من كل الجوهر
الكريم واستقرت حاله وجدته غير فان ولا متلاشيا
من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه الى بعض فيبطل
خواص شيء عنه واعراضه فاما الجوهر نفسه فهو باق
ولا سبيل الى اعدامه وبطلانه مثال ذلك الماء فانه
يستحيل هواء اذا هو آء وكذلك الهواء يستحيل نارا
ونارا فيبطل عن الجوهر اعراضه وخواصه فاما الجوهر
من حيث هو جوهر فانه باق ولا سبيل الى اعدامه هذا امر

في الجوهر الجسماني القابل للاستحالة والتغير فاما
الجوهر الروحاني الذي لا يقبل استحالة ولا تغيرا
في ذاته وانما يقبل كمالاته وتمامات حصول فكيف
يتوهم فيه العدم والملاشي فاما من يخاف الموت
لانه لا يعلم الى ان يصير بعده او انه يظن ان بدنه
اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه
وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد فلا يخاف الموت
على الحقيقة وانما يجهل ما ينبغي ان يعلمه فالجهل
اذن هو المخوف اذ هو سبب الخوف وهذا الجهل
هو الذي حمل الحكماء على طلب العلم والتعب به وتركوا
لاجله لذات الجسم وراحات البدن واختاروا
عليه النصب والسهر ورأوا ان الراحة التي يستراح بها
من الجهل هي الراحة الحقيقية وان التعب الحقيقي

هو تعب الجهل لانه مرض مزمن للنفس والبدن
منه خلاص له او راحة سرمدية ابدية فلما تيقن
الحكماء ذلك واستبصروا فيه وهجموا على حقيقته
ووصلوا الى الروح والراحة به هانت عليهم
امور الدنيا كلها واستحقروا جميع ما يستعظمونه
الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية
والمطالب التي توصي اليها اذ كانت قليلة البقاء
والثبات سريعة الفناء والزوال كثيرة الهموم
اذا وجدت عظيمة الغموم اذا فقدت واقتصروا
منها على المقدار الضروري في الحيوة وتسلوا
عن فضول العيش اليه فيها ما ذكرت من العيوب
وما لم اذكر ولانها مع ذلك لا تنال الا بالانسان
اذا بلغ منها الى غاية تاقت نفسه الى غاية اخرى

من غير وقوف على حد وانتهاء الى امد وهذا
هو الموت لا ما خاف منه والحرص عليه هو
الحرص على الزائل والشغل به هو الشغل الباطل
ولذلك جزم الحكماء الحكم بان الموت موتان
موت ارادي وموت طبعي وكذلك الحياة حياتان
حيوة ارادية وحيوة طبعية عنوا بالموت الارادي
اماتة الشهوات وترك التعرض لها وعنوا بالموت
الطبعي مفارقة النفس البدن وعنوا بالحيوة الارادية
ما يسعى لها الانسان في حيوته الدنيا من المآكل والمشارب
والشهوات والحيوة الطبعية مقام النفس السرمدي
في الغبطة الابدية ما يستفيد من العلوم وبراءته
من الجهل ولذلك وصى افلاطون طالب الحكمة بان يموت
موت بالارادة تحيا بالطبعة على ان من خاف الموت

الطبعي للانسان فهناك ما ينبغي ان يرجوه
وذلك ان هذا الموت هو تمام حد الانسان لانه
حي لطوما يموت فالموت تمامه وكماله به وبه يصير
الى افقه الاعلى مع علم ان كل شيء هو مركب
من جسمه وفضوله وان جنس الانسان هو الحي
وفصله الناطق الميت علم انه سينحل الى جنسه
وفضوله ان كل مركب سينحل لا محاله الى الشيء الذي منه
تركب ومن اجهل ممن يخاف تمام ذاته ومن اسوء
حالا ممن يظن ان فناه بحيوته ونقصانه بتمامه
وذلك ان الناقص اذا خاف ان يتم فقد جعل مرتقبه
على غاية الجهل فاذن يجب على العاقل ان يستوحش
من النقصان ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتممه
ويكمله ويشرفه ويعلي منزلته ويحل رباطه من الوجه

الذي يأمن به الوقوع في الامر الوخم الذي
يشد وثاقه ويزاد تركبا وتعقدا ويشوان
الجوهر الشريف الالهي اذا تخلص من الجوهر الكثيف
الجسماني خلص نقاء وصفو لاحلاص من مزاج وكدر
فقد سعد وعاد الى ملوكيته وقرب من باريه
وفاز بالمصير الى ربه وخالط الارواح الطيبة
من اشكاله واشباهه ونجا من اضداده واعدائه
ومن ها هنا يعلم ان من فارق نفسه بدنه وهي
مشاقة الله مشفقة عليه خائفة من فراقه فهي
في غاية الشقاء والبعد من ذاتها وجوهرها سالكة
الى البعد جهاتها من مستقرها طالبة قرارها لا قرار له
واما من ظن ان للموت اما عظم غير الامراض
التي ربما تقدمته وادت الله فعلاجه ان يبين له

ان هذا ظن كاذب لان الالم انما يكون للحي
والحي هو القابل امر النفس فاما الجسم الذي فيه
امر النفس فانه لا يالم ولا يحس فاذن الموت الذي هو
مفارقة النفس البدن لا الم له لان البدن
انما كان يالم ويحس بالنفس وحصول اثرها فيه
فاذا صار جسما لا اثر فيه للنفس فلا حس له
ولا الم فقد تبين ان الموت حال للبدن غير محسوس
عنده ولا مولم لانه فراق ما به كان يحس ويتالم
فاما من خاف الموت لاجل العذاب الذي يوعد به
بعده فينبغي ان يتبين له انه ليس يخاف الموت
بل يخاف الالم والعذاب والعقاب انما يكون
على ما بقي بعد البدن من اثر وما عرف يسير ما
بعد البدن فهو لا محاله سيعرف ما ذنوبه وافعال

سيئة يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك
معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا
على الحسنات فهو اذن خايف من ذنوبه لا
من الموت ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه
ان يحذر ذلك الذنب ويجتنبه وقد بينا فيما تقدم
ان الافعال الرديئة التي تسمى ذنوبا انما تصدر عن
هيات رديئة وعرفنا كل اضدادها من الفضايل
فاذن الخائف من الموت على هذه الطريقة ومن
هذه الجهة فهو جاهل ما ينبغي ان يخاف منه
وخايف مما لا اثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل
يكون بالعلم فان الحكمة هي التي تخلصنا من هذه الالام
والظنون الكاذبة التي هي نتايج الجهالات والله الموفق
لما فيه الخير وكذلك نقول لمن خاف الموت لانه

لا يدري علام تقدم عليه بعد الموت لان هذا
حال الجاهل الذي يخاف بجهله فان مر اثبت لنفسه
حالا بعد الموت ثم لا يعلم ما ملك فقد اقر بالجهل
وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد وثق ومن وثق
فقد علم سبل السعادة فهو يسلكها ومن سلك
طريقا مستقيما الى غرض افضى اليه لا محالة وهذه
الثقة التي يكون بها العلم هي اليقين وهي حال المستبصر
في دينه المستمسك بحكمته وقد عرفت مر بنيته
ومقاله فيما سلف من القول واما من زعم انه ليس
يخاف الموت وانما يحزن على ما يخلف من اهل وولد
ومال وتاسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها
فسبيلي ان سلوان الحزن تعجل الم وملكوه على ما
يجدي الحزن عليه طائلا وسنذكر علاجه في باب

مفرد له خاص بل انا في هذا الباب انما نذكر الم الخوف
وعلاجه وقد بينا منه على ما فيه مقنع وكفاية
الا اني اريد بيانا ووضوحا فاقول ان الانسان
من جهة الامور الكائنة وقد بينت في الآراء
الفلسفية ان كل كائن فاسد لا محالة فمن اجب
ان لا يفسد فهو احب ان لا يكون ومن اجب
ان لا يكون فهو احب فساد نفسه وذاته فكانه
يحب ان تفسد ويحب ان لا تفسد ويحب ان
تكون ويحب ان لا تكون وهذا محال لا يخطر ببال
العاقل وايضا فانه لو لم تمت اسلافنا وآباؤنا لم ينته
الوجود الينا ولو جاز ان يبقى الانسان لبقي من
تقدمنا ولو بقي الناس على ما هم عليه من التناسل
ولم يموتوا لما وسعتهم الارض وانت تبتسم ضاحكا

فما اقول نزل ان رجلا واحدا ممن كان منذ اربعمائة
هو موجود الآن ولكن من مشاهير الناس حتى يمكن
ان يحصل اولاد موجودين معروفين كعلي رضوان الله عليه
مثلا ثم ولد له اولاد واولاد اولاد اولاد وبقوا
كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد كم كان مقدار
من يجتمع منهم في وقتنا هذا فانك ستجدهم اكثر من
عشرة آلاف الف رجل وخلك ان بقيتهم الآن مع ما
قد فهم من الموت والقتل الذريع اكثر من مائتي الف
انسان واحسب لكل من كان في ذلك العصر من
الناس في بسيط الارض شرقها وغربها مثل هذا
الحساب فانهم اذا تضاعفوا هذا التضاعف
لم يضبطهم كثرة ولم يحصهم عددا ثم امسح بسيط
الارض فانه محدود معروف المساحة لتعلم ان

الارض حينئذ لا يسعهم قياما ومتى اضطروا فكيف
قعودا ومتصرفين ولا يبقى موضع لعمران يفضل
عنهم ولا امكان لزراعة ولا مسير لاحد ولا حركة
فضلا عن غيرها وهذا في مدة يسيرة من الزمان
فكيف اذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه
النسبة فهذا حال من يتمنى الحيوة الابدية للبدن
ويكره الموت ويظن ان ذلك ممكن او مطموع فيه من
الجهل والغباوة فادا الحكمة البالغة والعدل
المبسوط بالنشر الالهي هو الصواب الذي لا معدل عنه
ولا محيص منه وهو غاية الجود الذي ليس وراءه غاية اخرى
لطالب مسترشد او راغب مستفيد والخائف منه
هو الخائف من عدل الباري وحكمته بل هو الخائف
من جود وعطاياه فلنظهر ظهورا حسنا ان الموت

ليس بحى كما يظنّه جمهور الناس وانما الردى هو
الخوف منه وان الذى يخاف منه هو الجاهل به
وبذاته وقد كان ظهر ايضا فيما تقدّم من قولنا
ان حقيقة الموت هو مفارقة النفس البدن وهذه
المفارقة ليست فسادا للنفس وانما هو فساد المتركب
فاما جوهر النفس الذى هو ذات الانسان ولبّه
وخلاصته فهو باق بحاله وليس بجسم فيلزم منه ما لزم
فى الاجسام مما اوردناه قبل بل لا يلحقه شئ من
اعراض الاجسام اى لا يتداخل فى المكان لانه لا يحتاج
الى المكان ولا يخص على البقاء الزمانى لاستغنائه
عن الزمان وانما استفاد بالحواس والاجسام كمالا
ما فاذا اكمل بها ثم خلص منها صار الى عالمه الشريف
القريب الى باريه ومنشئه تعالى وتقدس وهذا

الكمال الذى يستفيده فى هذا العالم الحسّى فقد
بيّناه وعرفنا السبيل الطريق اليه بما سلف فى هذا الكتاب
وانه السعادة القصوى للانسان واعلم انا كما ضدّ
الذى هو الشقاء الاقصى له وبيّنا مع ذلك
مراتب السعادة ومنازل الابرار ودرجاتهم
من رضوان الله عزّ وجلّ وجنّته التى هى دار القرار
كما بيّنا كل مراتب اضدادهم من سخطه ودركاتهم
فى النار التى هى الهاوية بلا قرار نسئل الله حسن
المعونة على ما يقربنا منه انه جواد كريم رؤف رحيم
علاج الحزن الحزن الم نفسانى يعرض
لفقد محبوب او فوت مطلوب وسببه الحرص
على الفنيات الجسمانية والشره الى الشهوات البدنية
والحسرة على ما فقد او يفوته منها وانما يحزن ويجزع

على فقد محبوباته وفوت مطلوباته من يظن ان
ما حصل له من محبوبات الدنيا يجوز ان يبقى وثبت
عنده وان جميع ما يطلبه من مفقوداتها لا بد
ان يحصل له ويصير في ملكه فاذا انصف نفسه
وعلم ان جميع ما في عالم الكون والفساد غير ثابت
ولا باق وانما الثابت الباقي هو ما كون في عالم العقل
لم يطمع في المحال ولم يطلبه واذا لم يطمع فيه لم يحزن
لفقدها يهواه ولا لفوت ما يتمناه في هذا العالم
فصرف همته الى المطلوبات الصافية واقصر
همته على طلب المحبوبات الباقية واعرض عما ليس
في طبعه ان يثبت ويبقى واذا حصل له منها شيء
بادر الى وضعه في موضعه واخذ منها مقدار الحاجة
لدفع الآلام التي احصيناها من الجوع والعرى

والضرورات الى شبهها وترك الادخار والاستكثار
والالتماس للباهاة والافتخار ولم يحدث نفسه بالمكاثرة
بها والتمني لها فاذا فارقته لم يأسف عليها ولم يبال
بها فان من فعل ذلك امن فلم يحزن وفرح فلم يحزن
وسعد فلم يشق ومن لم يقبل هذه الوصية ولم
يعالج نفسه بهذا العلاج لم يزل في جزع دائم
وحزن غير منقض وذلك انه لا يعلم في كل حال
فوت مطلوب او فقد محبوب وهذا لازم لعالمنا
هذا لانه عالم الكون والفساد ومن طمع من الكائن
الفاسد ان يكون ولا يفسد فقد طمع في المحال ومن طمع في الممكن
لم يزل خائبا والخائب ابدا محزون والمحزون شقي
ومن استشعر هذه الجملة ان يرضى بكل ما يجد
ولا يحزن لشيء يفوته لم يزل مسرورا سعيدا فان

ظن ظان ان هذا الاستشعار لا يتم له او لا ينفع
فلينظر الى استشعارات الناس في مطالبهم ومعايشهم
واختلافهم فيها بحسب قوة الاستشعار فانه سيرى
رؤية بينة ظاهرة فرح المتعيش بمعايشهم على
تفاوتها وسرور اصحاب الحرف المختلفة مذاهبهم
من طبقات الدهماء فانه لا يخفى عليه فرح التاجر
بتجارته والنجار بنجارته والجندي بسجاعه والمقامر
بقماره والشاطر بشطارته والمخنث بتخيثه
حتى يظن كل واحد منهم ان المغبون من عدم تلك
الحالة حتى فقد بهجتها والمجنون من عمي عنها
حتى حرم لذتها وليس ذلك الا لقوة الاستشعار
من كل طايفة بحسن مذهبه ولزومها اياه بالعادة
الطويلة واذا لزم طالب الفضيلة مذهبه وقوى
استشعاره وحسن رايه وطالت عادته كان

اولى السرور من هذه الطبقات الذين يخبطون
في جهالاتهم فكان اخطاهم بالنعم المقيم لانه محق
وهم مبطلون وهو متيقن وهم ظانون ثم هو
صحيح وهم مرضى وهو سعيد وهم اشقياء وهو
ولي الله وهم اعداؤه وقد قال الله تعالى الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال الكندي
في كتاب دفع الاحزان ما يدلك دلالة واضحة ان
الحزن شيء يجتلبه الانسان ويصنعه وضعا وليس
هو من الاشياء الطبيعية وان من فقد ملكا او طلب
امرا فلم يجده ولحقه حزن ثم نظر في حزنه ذلك
نظرا حكميا وعرف ان اسباب حزنه هي اسباب
غير ضرورية وان كثيرا من الناس ليس لهم ذلك
الملك وهم غير محزونين بل فرحون مغبوطون

علم علما لا ريب فيه ان الحزن ليس بضروري
ولا طبعي وان مرح من الناس وجلد لنفسه
هذا العارض فهو امحاله سيسلو ويعود الى
حاله الطبعي فقد شاهدنا قوما فقدوا من
الاولاد والاعزة والاصدقاء واحبه ما اشتد
حزنه عليهم ثم لا يلبثون ان يعودوا الى حال المرح
والضحك والغبطة ويصيروا الى حال من لم يحزن
وكذلك حال من يفقد المال والضياع وجميع ما
يقتنيه الانسان مما يعز عليه ويحزن فانه لا محاله
يبتلى بزوال حزنه ويعاود انسه واغتباطه
فالعاقل اذا نظر في احوال الناس في الحزن واسبابه
علم انه ليس يختص من نزل بهم بمصيبة غريبة ورزية
عظيمة بدعة وان غايته من مصيبته السلوة

وان الحزن هو مرض عارض يحدث مجرى سائر العوارض
فلم يضع لنفسه عارضا رديا ولم يكتسب مرضا
وضعيا اعني مجلبا غير طبعي وينبغي ان يتذكر
ما قدمناه ذكر من حال المرء حتى يحثه على ان يشمها
ويتمتع بها ثم يردها الى موضعها او دافعها ليشمها
غيره ويتمتع بها سواه فاطمعته نفسه فيها وظن انها
موهوبة له هبة ابدية فلما اختلعته عنه حزن
واسف وغضب فان هذه حال من عدم عقله
وطمع فيما لا يطمع فيه وهذه حال الحسود لانه يحب
ان يستبد بالخيرات من غير شركة الناس والحسد
اقبح الامراض واشنع الشرور ولذلك قال الحكماء
من احب ان ينال اعداه الشر فهو محب للشر
ومحب الشر شرير وشر هذا من احب الشر

لمن ليس له بعده واسوأ حالا من هذا من احب
ان ينال أصدقاءه خيرا ومن احب ان يحرم صديقه
الخير فقد احب له الشر ويجب من هذه الردات
الحزن على ما يناله الناس من الخيرات وان
نحسدهم على ما يصلون اليه منها وسواء كانت
هذه الخيرات من قنياتنا وما ملكناه او مما لم نقتنه
ولم نملكه لان الجميع مشترك للناس وهي ودايع الله تعالى
عند خلقه وله ان يرجع العاريه متى شاء على قيد
من شاء والاسيه علينا والاعار اذا ردد ناه الودايع
وانما العار والاسيه ان نحزن اذا ارتجع منا
وهو مع ذلك كفر للنعمه لان اقل ما يجب من الشكر
للمعير ان يرد عليه عاريته على طيب نفس وشرح
الى اجابته اذا استردها لا سيما اذا توكل المعير علينا

افضل ما اعارنا وارتجع اخسه قال واغنى الاغنى
الاجل ما لا يصل اليه يد ولا يشركنا فيه احد
اعني النفس والعقل والفضايل الموهوبه لنا هبه
لا تسترد واذا ترجع ونقول ان كان ارجع برا قل
الاخس لما اقتضاه العدل فقد ابقى برا كل الافضل
وانه لو كان واجبا ان نحزن على ما نفقد لوجب
ان يكون لنا بدا محزونا فينبغي للعاقل ان لا يفكر في
الاشياء الضائعه المؤمله وان يقتل القنيه
ما استطاع اذ كان فقدها سببا للاحزان
فقد حكي عن سقراط انه سيل عن سبب نشاطه
وقله حزنه فقال لا اقتني ما اذا فقدته حزنت عليه
واذ قد ذكرنا اجناس الامراض الغالبه التي تخص
النفس واشرنا الى علاجاتها ودللنا على شفيتها

فليس يتخذ على العاقل المحب لنفسه السابي لها
فيما يخلصها من الآثام وينجيها من مهالكها
أن يتصفح الامراض التي تحتوي عليها الاجساد من
انواعها واسخاصها فيداوي نفسه منها ويعالجها
بمقابلاتها من العلاجات والادوية الى الله تعالى
بعد حلك في الوقوف على الوقوف المقرون بالاجتهاد
وليس بتم احدهما الا بالآخر ۞

ثم كتابة تدبير الحلاق وتنظيف الاعراق
على يد العبد الفقير الى الله تعالى
الحسن بن مسعود بن محمد الساوي
احسن الله عواقبه وامنه الوقاية من
ليلة الجمعة السابع عشر من جمادى الاخرة سنة تسع وسبعمائة
بمدينة ارمنت
حماها الله تعالى

Süleymaniye Kütüphanesi
Esat Efendi
1836